الوابل الصيب

من الكلم الطيب

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية
٦٩١-٧٥١هـ

نسخة مضبوطة ومحققة ومخرجة الأحاديث

نبيل صلاح

دار العقيدة



الطبعة الأولى

٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ

دار العقيدة

طبع * نشر * توزيع

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/٥٥٣٣

الترقيم الدولي: 0 - 097 - 347 - 977

دار العقيدة

الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ ف: ٠٠٢٠٣/٥٧٦٥٦٢١

القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤

E-mail: dar_alakida@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله سبحانه وتعالى المسئول المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلى صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبداً، فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث.

« الشكر والابتلاء »

(الأول): نعم من الله تعالى تترادف عليه، فقيدها (الشكر)، وهو مبنى على ثلاثة أركان: الاعتراف بـها باطناً.

والتحدث بـهـا ظاهراً.

وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها. فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها.

(الثاني): محن من الله تعالى يبتليه بـها، ففرضه فيها (الصبر) والتسلي. والصبر: حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه. فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية وصار المكروه محبوباً. فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالى على العبد عبودية في الضراء، كما له عبـودية في السراء، وله عبودية عليه فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون. والشأن في إعطاء العبودية في المكاره. ففيه تفاوت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى، فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية، ومباشرة زوجته الحسناء التى يحبها عبودية، ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية. هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية، وتركه المعصية التي اشتـدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية، ونفقته في الضراء عبودية، ولكن فرق عظيم بين العبوديتين.

فمن كان عبداً لله في الحالتين قائماً بحقه في المكروه والمحبوب فذلك الذي تناوله قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ (الزمر:٣٦)، وفي القراءة الأخرى ﴿عِبَادَهُۥ﴾، وهما سواء لأن المفرد مضاف فيعم عموم الجمع، فالكفاية التامة مع العبودية التامة، والناقصة مع الناقصة. فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه.

وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ (الحجر:٤٢). ولما علم عدو الله إبليس أن الله تعالى لا يسلم عباده إليه ولا يسلطه عليهم قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (ص:٨٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ (سبأ:٢٠، ٢١) فلم يجعل لعدوه سلطاناً على عباده المؤمنين، فإنهم في حرزه وكلاءته وحفظه وتحت كنفه، وإن اغتال عدوه أحدهم كما يغتال اللص الرجل الغافل فهذا لابد منه، لأن العبد قد بلي بالغفلة والشهوة والغضب، ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة ولو احترز العبد ما احترز، فلابد له من غفلة ولابد له من شهوة ولابد له من غضب، وقد كان آدم أبو البشر عليه السلام من أحلم الخلق وأرجحهم عقلاً وأثبتهم، ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه، فما الظن بفراشة الحلم ومن عقله في جنب عقل أبيه كتفلة في بحر؟ ولكن عدو الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غيلة على غرة وغفلة، فيوقعه ويظن أنه لا يستقبل ربه عز وجل بعدها، وأن تلك الوقعة قد اجتاحته وأهلكته، وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذلك كله.

«الحسنة ـ والسيئة»

فإذا أراد الله بعبده خيراً فتح له من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته، حتى يقول عدو الله: يا ليتني تركته ولم أوقعه.

وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار. قالوا: كيف ؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفاً منه مشفقاً وجلاً باكياً نادماً مستحياً من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي

بـها سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة. ويفعل الحسنة فلا يزال يـمن بـها على ربه ويتكبر بـها ويرى نفسه ويعجب بـها ويستطيل بـها ويقول فعلت وفعلت، فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه.

فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيراً ابتلاه بأمر يكسره به ويذل به عنقه ويصغر به نفسه عنده. وإن أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه.

فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق أن لا يكلك الله تعالى إلى نفسك، والخذلان أن يكلك الله تعالى إلى نفسك. فمن أراد الله به خيراً فتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللجأ إلى الله تعالى والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحمده.

فالعارف سائر إلى الله تعالى بين هذين الجناحين، لا يمكنه أن يسير إلا بـهما، فمتى فاته واحد منهما فهو كالطير الذى فقد أحد جناحيه.

قال شيخ الإسلام: «العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل».

« سيد الاستغفار »

وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الصحيح من حديث بريدة رضي الله تعالى عنه: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: **اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى، فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[1] **فجمع في قوله** ﷺ : **«أبوء لك بنعمتك**

---

(١) حديثٌ صحيح: من حديث شداد بن أوس مرفوعاً به. أما حديث بريدة هذا فأخرجه أبو داود (٥٠٧٠)، وابن ماجه (٣٨٧٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص ٣٨٦)، من طريق الوليد بن ثعلبة الطائي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعاً به. وسنده رجاله رجال الصحيح إلا الوليد بن ثعلبة، وقد وثقه يحيى بن معين كما في «التهذيب». وقال الإمام النسائي - بعد أن ذكره من طريق الوليد ابن ثعلبة عن ابن بريدة به: ثم ذكره من طريق حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن بشير بن كعب عن شداد بن أوس مرفوعاً به.
قال: حسين أثبت عندنا من الوليد بن ثعلبة وأعلم بعبد الله بن بريدة وحديثه أولى بالصواب. اهـ.
قال الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في «أحاديث معلة» (ص ٣٧): «فعلى هذا فحديث الوليد بن ثعلبة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه يعتبر شاذاً ويكون الوليد قد سلك الجادة مما يرجح رواية حسين المعلم، والله أعلم». اهـ. =

على، وأبوء بذنبي». مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل. فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وأن لا يرى نفسه إلا مفلساً، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ولا سبباً يتعلق به ولا وسيلة منه يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل، وكمال فاقته وفقره إليه، وأن في كل ذرة في ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر، إلا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته. ولا طريق إلى الله تعالى أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى.

والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حب كامل، وذل تام، ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين، وهما: مشاهدة المنة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغفلة، وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته.

فصـل

« استقامة القلب والجوارح »

وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه. فاستقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره سبق حب الله تعالى حب ما سواه. فرتب على ذلك مقتضاه. وما أسهل هذا بالدعوى وما أصعبه بالفعل، فعند الامتحان، يكرم المرء أو يهان. وما أكثر

= قلت: وحسين قد توبع على روايته فتابعه ثابت البناني وأبو العوام عن عبد الله بن بريدة به. أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٥٨٠)، وسيأتي إن شاء الله تعالى تخريج حديث شداد بن أوس. في «فصل: ذكر طرفي النهار»

ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه أو يحبه كبيره وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله تعالى، فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب، ولا كانت هى الملكة المؤمرة عليها، وسنة الله تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه ولا ينال شيئاً منها إلا بتكدر وتنغيص، جزاء له على إيثار هواه وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى. وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع أن من أحب شيئاً سواه عذب به ولابد، وأن من خاف غيره سلط عليه، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤماً عليه، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولابد.

الأمر الثاني: الذى يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهى، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهى، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (نوح:١٣) قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة.

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهى: هو أن لا يعارضا بترخص جاف، ولا يعارضا لتشديد غال، ولا يحملا على علة توهن الانقياد.

ومعنى كلامه أن أول مراتب تعظيم الحق عز وجل تعظيم أمره ونهيه، وذلك لأن المؤمن يعرف ربه عز وجل برسالته التى أرسل بها رسول الله ﷺ إلى كافة الناس ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز وجل واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالاً على تعظيمه لصاحب الأمر والنهى، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر.

فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق، وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقى المناهى خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع ﷺ على المناهى. فهذا ليس فعله وتركه صادراً عن تعظيم الأمر والنهى ولا تعظيم الآمر الناهى، فعلامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها، كمن يحزن على فوت الجماعة ويعلم أنه لو تقبلت منه صلاته منفرداً فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفاً، ولو أن رجلاً يعانى البيع والشراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة

(قيمتها) سبعة وعشرون ديناراً لأكل يديه ندماً وأسفاً، فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف ألف وما شاء الله تعالى، فإذا فوت العبد عليه هذا الربح خسر قطعاً – وكثير من العلماء يقول لا صلاة له – وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة غير مرتاع لها، فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه، وكذلك إذا فاته أول الوقت الذى هو رضوان الله تعالى، أو فاته الصف الأول الذى يصلى الله وملائكته على ميامنه، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه ولكانت قرعة. وكذلك فوت الجمع الكثير الذى تضاعف الصلاة بكثرته وقلته، كلما كثر الجمع كان أحب إلى الله عز وجل، وكلما بعدت الخطا كانت خطوة تحط خطيئة، وأخرى ترفع درجة.

« الخشوع في الصلاة »

وكذلك فوت الخشوع في الصلاة وحضور القلب فيها بين يدى الرب تبارك وتعالى الذى هو روحها ولبها، فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحى العبد أن يهدى إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره؟ فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد –أو الأمة– الميت الذى يريد إهداءه إلى بعض الملوك ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يثيبه عليها، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها كما في السنن ومسند الإمام أحمد وغيره عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن العبد ليصلى الصلاة وما كتب له إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربعها إلا خمسها حتى بلغ عشرها**»[1].

---

(١) إسناده حسن : أخرجه أبو داود (٧٩٦)، وأحمد (٤/ ٣٢١) من طريق محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن عمر بن الحكم عن عبد الله بن عنمة المزني عن عمار بن ياسر مرفوعاً به، ومحمد بن عجلان حسن الحديث. وأما قول الحافظ في «التقريب»: اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، ففيه اتساع، فقد قال يحيى بن معين: «كان داود بن قيس يجلس إلى ابن عجلان يتحفظ عنه، وكان يقول: إنها اختلطت على ابن عجلان يعني أحاديث سعيد المقبري».

وقال ابن حبان في «الثقات»: قد سمع سعيد المقبري من أبي هريرة وسمع عن أبيه عن أبي هريرة اختلط على ابن عجلان صحيفته ولم يميز بينهما اختلط فيها، وجعلها كلها عن أبي هريرة، وليس هذا مما يهي الإنسان به لأن الصحيفة كلها في نفسها صحيحة، فما قال ابن عجلان عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة=

وينبغى أن يعلم أن سائر الأعمال تجرى هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها.

وهذا العمل الكامل هو الذى يكفر (الذنوب) تكفيراً كاملاً، والناقص بحسبه.

« بم تتفاضل الأعمال؟ »

وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة وهما: تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه. وبهذا يزول الإشكال الذى يورده من نقص حظه من هذا الباب على الحديث الذى فيه: «**إن صوم يوم عرفه يكفر سنتين، ويوم عاشوراء يكفر سنة**»[1] قالوا: فإذا كان دأبه دائماً أنه يصوم يوم عرفة فصامه وصام يوم عاشوراء، فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة، وأجاب بعضهم عن هذا بأن ما فضل عن التكفير ينال به الدرجات. ويالله العجب، فليت العبد إذا أتى بهذه المكفرات كلها أن تكفر عنه سيئاته باجتماع بعضها إلى بعض، والتكفير بهذه مشروط بشروط، وموقوف على انتفاء موانع في العمل وخارجه، فإن علم العبد أنه جاء بالشروط كلها وانتفت عنه الموانع كلها فحينئذ يقع التكفير، وأما عمل شملته الغفلة أو لأكثره، وفقد الإخلاص الذى هو روحه، ولم يوف حقه، ولم يقدره حق قدره، فأى شيء يكفر هذا؟ فإن وثق العبد من عمله بأنه وفاه حقه الذى ينبغي له ظاهراً وباطناً، ولم يعرض له مانع يمنع تكفيره ولا مبطل يحبطه - من عجب أو رؤية نفسه فيه أو يمن به أو

= فذاك مما حمل عنه قديماً قبل اختلاط صحيفته عليه، وما قال عن سعيد عن أبي هريرة فبعضها متصل صحيح وبعضها منقطع لأنه أسقط أباه منها فلا يجب الاحتجاج عند الاحتياط إلا بما يروي الثقات المتقنون عنه عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة، وإنما كان يهي أمره ويضعف لو قال في الكل سعيد عن أبي هريرة، فإنه لو قال ذلك لكان كذباً في البعض لأن الكل لم يسمعه سعيد عن أبي هريرة، فلو قال ذلك لكان الاحتجاج به ساقطاً على حسب ما ذكرناه. اهـ.

قال شيخنا أحمد بن أبي العينين حفظه الله ورعاه في «تحقيق الاعتقاد (ص ٢٢٥)»: فهذا التفصيل الذي بينه ابن حبان تفصيل حسن وعليه فالذي يرد من حديث ابن عجلان هو حديثه عن سعيد عن أبي هريرة، وروايته عن أبي هريرة مباشرة بدون واسطة أما روايته عن سعيد عن أبي هريرة فهي مما أتقنه، ومن باب أولى حديثه عن أبي هريرة بواسطة رواة آخرين، والله أعلم. اهـ.

(١) **حديث صحيح**: أخرجه مسلم (١١٦٢)، وأبو داود (٢٤٢٥)، والترمذي (٧٤٩)، والنسائي (٤/ ٢٠٧)، وابن ماجه (١٧١٣)، وأحمد (٥/ ٣١١)، عن أبي قتادة ﷺ مرفوعاً به.

يطلب من العباد تعظيمه به أو يستشرف بقلبه لمن يعظمه عليه أو يعادى من لا يعظمه عليه، ويرى أنه قد بخسه حقه، وأنه قد استهان بحرمته - فهذا أى شيء يكفر؟

« محبطات الأعمال »

ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر، وليس الشأن في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه. فالرياء وإن دق محبط للعمل، وهو أبواب كثيرة لا تحصر، وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضاً موجب لكونه باطلاً، والمن به على الله تعالى بقلبه مفسد له، وكذلك المن بالصدقة والمعـــروف والبر والإحسان والصلة مفسد لها. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ (البقرة:٢٦٤)، وأكثر الناس ما عندهم خبر من السيئات التي تحبط الحسنات، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات:٢)، فحذر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هذا بردة، بل معصية تحبط العمل وصاحبها لا يشعر بها، فما الظن بمن قدَّم على قول الرسول ﷺ وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه؟ أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر؟ ومن هذا قوله ﷺ : **«من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»**[1].

ومن هذا قول عائشة رضى الله تعالى عنها وعن أبيها لزيد بن أرقم رضي الله عنه لما باع بالعينة: إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ، إلا أن يتوب، وليس التبايع بالعينة ردة، وإنما غايته أنه معصية، فمعرفة ما يفسد الأعمال في حال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغى أن يفتش عليه العبد ويحرص على عمله ويحذره. وقد جاء في أثر معروف: إن العبد ليعمل العمل سراً لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، فيتحدث به فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية، ثم يصير في ذلك الديوان على حسب العلانية فإن تحدث به للسمعة وطلب الجاه والمنـزلة عند غير الله تعالى أبطله كما لو فعله لذلك.

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري (٥٥٣)، (٥٩٤)، والنسائي (١/ ٢٣٦) عن بريدة مرفوعاً به، وأخرج البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦)، وأبو داود (٤١٠)، والترمذي (١/ ١١٣)، والنسائي (١/ ٢٣٨) عن ابن عمر مرفوعاً: **«الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»**.

فإن قيل: فإذا تاب هذا، هل يعود إليه ثواب العمل؟ (١)

قيل: إن كان قد عمله لغير الله تعالى وأوقعه بهذه النية فإنه لا ينقلب صالحاً بالتوبة، بل حسب التوبة أن تمحو عنه عقابه فيصير لا له ولا عليه. وأما إن عمله لله تعالى خالصاً ثم عرض له عجب ورياء أو تحدث به ثم تاب من ذلك وندم فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط، وقد يقال: إنه لا يعود إليه بل يستأنف العمل. والمسألة مبنية على أصل، وهو أن الردة هل تحبط العمل بمجردها أو لا يحبطه إلا الموت عليها؟ فيه للعلماء قولان مشهوران وهما روايتان عن الإمام أحمد ﷺ. فإن قلنا تحبط العمل بنفسها فمتى أسلم استأنف العمل وبطل ما كان قد عمل قبل الإسلام. وإن قلنا لا يحبط العمل إلا إذا مات مرتداً، فمتى عاد إلى الإسلام عاد إليه ثواب عمله. وهكذا العبد إذا فعل حسنة ثم فعل سيئة تحبطها ثم تاب من تلك السيئة، هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة؟ يخرّج على هذا الأصل. ولم يزل في نفسى من هذه المسألة ولم أزل حريصاً على الصواب فيها وما رأيت أحداً شفي فيها.

والذى يظهر -والله تعالى أعلم وبه المستعان ولا قوة إلا به- أن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل ويكون الحكم فيها للغالب، وهو يقهر المغلوب ويكون الحكم له حتى كأن المغلوب لم يكن، فإذا غلبت على العبد الحسنات رفعت حسناته الكثيرة سيئاته، ومتى تاب من السيئة ترتب على توبته منها حسنات كثيرة قد تربى وتزيد على الحسنة التى حبطت بالسيئة، فإذا عزمت التوبة وصحت ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السيئات حتى كأنها لم تكن، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وقد سأل حكيم بن حزام ﷺ النبي ﷺ عن عتاقة وصلة وبر فعله في الشرك: هل يثاب عليه؟ فقال النبى ﷺ : **«أسلمت على ما أسلفت من خير»** (٢) فهذا يقتضى أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك فلما تاب من الشرك عاد إليه ثواب حسناته المتقدمة. فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحاً صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات وأعادت عليه ثواب حسناته.

(١) انظر «الصحيحة» (١/ ٤٩٢-٤٩٨). ففيها بحث قيم في هذه المسألة.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤/ ٣٢٧)، (٥/ ١٢٧)، (١٠/ ٣٤٨)، ومسلم (١٢٣)، وأبو عوانة في «صحيحه» (١/ ٧٢-٧٣)، وأحمد (٣/ ٤٠٢). وغيرهم.

« مرض الحسنات والذنوب »

يوضح هذا أن الحسنات والذنوب هى أمراض قلبية كما أن الحمى والأوجاع أمراض بدنية، والمريض إذا عوفي من مرضه عافية تامة عادت إليه قوته وأفضل منها حتى كأنه لم يضعف قط. فالقوة المتقدمة بمنـزلة الحسنات، والمرض بمنزلة الذنوب، والصحة والعافية بمنزلة التوبة، وكما أن من المرضى من لا تعود إليه صحته أبداً لضعف عافيته، ومنهم من تعود صحته كما كانت لتقاوم الأسباب وتدافعها ويعود البدن إلى كماله الأول، ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض حتى ربما كان مرض هذا سبباً لعافيته كما قال الشاعر:

لعل عتبك محمود عواقبه ❁ وربما صحت الأجسام بالعلل

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث، والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه.

« علامات تعظيم المناهي »

وأما علامات تعظيم المناهى: فالحرص على التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها، كمن يهرب من الأماكن التى فيها الصور التي تقع بـها الفتنة خشية الافتتان بها. وأن يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروه، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو إليها ويتهاون بـها ولا يبالى ما ركب منها، فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله تعالى وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته.

ومن علامات تعظيم النهى أن يغضب لله عز وجل إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزناً وكسرة إذا عُصِيَ الله تعالى في أرضه، ولم يضلع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغير ذلك.

ومن علامات تعظيم الأمر والنهى: أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه جافياً، غير مستقيم على المنهج الوسط، مثال ذلك أن السنة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر فالترخص الجافي أن يبرد إلى فوات الوقت أو مقاربة خروجه فيكون

مترخصاً جافياً، وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور ويفعل العبادة بتكره وضجر، فمن حكمة الشارع ﷺ أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر فيصلي العبد بقلب حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى. ومن هذا نهيه ﷺ أن يصلي بحضرة الطعام أو عند مدافعة البول والغائط، لتعلق قلبه من ذلك بما يشوش عليه مقصود الصلاة ولا يحصل المراد منها.

فمن فقه الرجل في عبادته أن يقبل على شغله فيعمله، ثم يفرغ قلبه للصلاة فيقوم فيها وقد فرغ قلبه لله تعالى ونصب وجهه له وأقبل بكليته عليه، فركعتان من هذه الصلاة يغفر للمصلي بهما ما تقدم من ذنبه، والمقصود أن لا يترخص ترخصاً جافياً.

ومن ذلك أنه رخص للمسافر في الجمع بين الصلاتين عند العذر وتعذر فعل كل صلاة في وقتها لمواصلة السير وتعذر النزول أو تعسره عليه، فإذا قام في المنـزل اليومين والثلاثة أو أقام اليوم فجمعه بين الصلاتين لا موجب له لتمكنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقة، فالجمع ليس سنة راتبة كما يعتقد أكثر المسافرين أن سنة السفر الجمع سواء وجد عذر أو لم يوجد، بل الجمع رخصة، والقصر سنة راتبة، فسنة المسافر قصر الرباعية سواء كان له عذر أو لم يكن، وأما جمعه بين الصلاتين فحاجة ورخصة، فذا لون وهذا لون.

ومن هذا أن الشبع في الأكل رخصة غير محرمة فلا ينبغي أن يجفو العبد فيها حتى يصل به الشبع إلى حد التخمة والامتلاء فيتطلب ما يصرف به الطعام فيكون همه بطنه قبل الأكل وبعده، بل ينبغي للعبد أن يجوع ويشبع ويدع الطعام وهو يشتهيه، وميزان ذلك قول النبي ﷺ : **«ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»**[1] ولا يجعل الثلاثة الأثلاث كلها للطعام وحده.

وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي فهو كمن يتوسوس في الوضوء متغالياً فيه حتى يفوت الوقت، أو يردد تكبيرة الإحرام إلى أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة أو

---

(١) **إسناده صحيح** : أخرجه أحمد (٤/ ١٣٢)، وابن حبان (١٣٤٩)، والحاكم (٤/ ١٢١)، والترمذي (٣٣٨٠) من طريق يحيى بن جابر عن المقدام بن معدي كرب مرفوعاً به. وسنده صحيح.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

يكاد تفوته الركعة. أو يتشدد في الورع الغالى حتى لا يأكل شيئاً من طعام عامة المسلمين خشية دخول الشبهات عليه. ولقد دخل هذا الورع الفاسد على بعض العباد الذين نقص حظهم من العلم حتى امتنع أن يأكل شيئاً من بلاد الإسلام وكان يتقوت بما يحمل إليه من بلاد النصارى ويبعث بالقصد لتحصيل ذلك، فأوقعه الجهل المفرط والغلو الزائد في إساءة الظن بالمسلمين وحسن الظن بالنصارى نعوذ بالله من الخذلان.

فحقيقة التعظيم للأمر والنهى: أن لا يعارضا بترخص جاف، ولا يعرَّضا لتشديد غال. فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله عز وجل بسالكه، وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو. فلا يبالى بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتى إلى قلب العبد فيستامه، فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة فثبطه وأقعده وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة.

وإن وجد عنده حذراً وجدًّا وتشميراً ونهضة، وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد وسوَّل له أن هذا لا يكفيك وهمتك فوق هذا، وينبغى لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وأن لا تفتر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعاً، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدى، فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدى الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه، ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم: هذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه. وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا ينجي من ذلك إلا علم راسخ وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط. والله المستعان.

ومن علامات تعظيم الأمر والنهى: أن لا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عز وجل، بل يسلم لأمر الله تعالى وحكمه ممتثلاً ما أمر به سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه حمله ذلك على مزيد الانقياد والبذل والتسليم، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه كما حمل ذلك كثيراً من زنادقة الفقراء والمنتسبين إلى التصوف، فإن الله عز وجل شرع الصلوات الخمس إقامة لذكره واستعمالاً للقلب والجوارح واللسان في العبودية، وإعطاء كل منها

قسطه من العبودية التى هى المقصود بخلق العبد، فوضعت الصلاة على أكمل مراتب العبودية، فإن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الآدمى واختاره من بين سائر البرية، وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان والتوحيد والإخلاص والمحبة والحياء والتعظيم والمراقبة.

وجعل ثوابه إذا قدم علمه أكمل الثواب وأفضله، وهو النظر إلى وجهه والفوز برضوانه ومجاورته في جنته، وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه، فهو يدخل عليه من الأبواب التى هى من نفسه وطبعه فتميل نفسه معه، لأنه يدخل عليها بما تحب، فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد، ثلاثة مسلطون آمرون، فيبعثون الجوارح في قضاء وطرهم والجوارح آلة منقادة فلا يمكنها إلا الانبعاث، فهذا شأن هذه الثلاثة، وشأن الجوارح، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أمروا وأين يمموا.

هذا مقتضى حال العبد، فاقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر وأمده بمدد آخر يقاوم به هذا الجند الذى يريد هلاكه، فأرسل إليه رسوله وأنزل عليه كتابه وأيده بملك كريم يقابل عدوه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمر أمره الملك بأمر ربه وبيَّن له ما في طاعة العدو من الهلاك، فهذا يلم به مرة وهذا مرة، والمنصور من نصره الله عز وجل، والمحفوظ من حفظه الله تعالى.

« النفس: الأمارة ـ المطمئنة »

وجعل له مقابل نفسه الأمارة نفساً مطمئنة إذا أمرته النفس الأمارة بالسوء نهته عنه النفس المطمئنة، وإذا نهته الأمارة عن الخير أمرته به النفس المطمئنة، فهو يطيع هذه مرة وهذه مرة، وهو الغالب عليه منهما، وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهراً لا تقوم معه أبداً.

« البصيرة ـ والهدى »

وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمارة نوراً وبصيرةً وعقلاً يرده على الذهاب مع الهوى، فكلما أراد أن يذهبَ مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور: الحذر الحذر، فإن المهالك والمتالف بين يديك وأنت صيد الحرامية وقطاع الطريق إن سرت خلف هذا الدليل فهو يطيع الناصح مرة فيبين له رشده ونصحه، ويمشى خلف دليل الهوى مرة فيقطع عليه الطريق ويأخذ ماله ويسلب ثيابه

فيقول: ترى من أين أُتيت؟ والعجب أنه يعلم من أين أُتى، ويعرف الطريق التى قطعت عليه وأخذ فيها ويأبى إلا سلوكها، لأن دليلها قد تمكن منه وتحكم فيه وقوى عليه، ولو أضعفه بالمخالفة له وزجره إذا دعاه ومحاربته إذا أراد أخذه لم يتمكن منه، ولكن هو مكنه من نفسه وهو أعطاه يده، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في يد عدوه فيباشره ثم يسومه سوء العذاب، فهو يستغيث فلا يغاث، فهكذا يستأثر للشيطان والهوى ولنفسه الأمارة ثم يطلب الخلاص فيعجز عنه.

فلما أن بلى العبد بما بلى به أعين بالعساكر والعدد والحصون، وقيل: قاتل عدوك وجاهده، فهذه الجنود خذ منها ما شئت، وهذه الحصون تحصن بأى حصن شئت منها ورابط إلى الموت، فالأمر قريب ومدة المرابطة يسيرة جداً، فكأنك بالملك الأعظم وقد أرسل إليك رسله فنقلوك إلى داره واسترحت من هذا الجهاد وفرق بينك وبين عدوك، وأطلقت في دار الكرامة تتقلب فيها كيف شئت وسجن عدوك في أصعب الحبوس وأنت تراه، فالسجن الذى كان يريد أن يودعك فيه قد أدخله وأغلقت عليه أبوابه وأيس من الروح والفرج، وأنت فيما اشتهت نفسك وقرت عينك، جزاء على صبرك في تلك المدة اليسيرة ولزومك الثغر للرباط، وما كانت إلا ساعة ثم انقضت وكأن الشدة لم تكن، فإن ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه فليتدبر قوله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ (الأحقاف:٣٥)، وقوله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات:٤٦)، وقوله عز وجل: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۝ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (المؤمنون:١١٢-١١٤)، وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ (طه:١٠٢-١٠٤)، وخطب النبى ﷺ أصحابه يوماً، فلما كانت الشمس على رءوس الجبال وذلك عند الغروب قال: «**إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه**»[١]، فليتأمل العاقل الناصح لنفسه

---

(١) إسناده ضعيف : أخرجه أحمد (٣/ ١٩) من طريق علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به. وعلي بن زيد هو ابن جدعان - وهو ضعيف الحديث فعلى هذا فالسند ضعيف. وقال الحافظ في «التقريب»: ضعيف.

هذا الحديث، وليعلم أى شيء حصل له من هذا الوقت الذى قد بقى من الدنيا بأسرها، ليعلم أنه في غرور وأضغاث أحلام، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظ خسيس لا يساوى شيئاً، ولو طلب الله تعالى والدار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئاً موفوراً وأكمل منه، كما في بعض الآثار: «ابن آدم بع الدنيا بالآخرة تربحهما جميعاً، ولا تبع الآخرة بالدنيا تخسرهما جميعاً».

وقال بعض السلف: «ابن آدم، أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج. فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة وكنت من نصيب الدنيا على خطر، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فزت بنصيبك من الدنيا فانتظمته انتظاماً».

وكان عمر بن عبد العزيز ﷺ يقول في خطبته: «أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولم تتركوا سدىً. وإن لكم معاداً يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم، فخاب وشقى عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التى وسعت كل شيء، وجنته التى عرضها السموات والأرض. وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف الله تعالى واتقى، وباع قليلاً بكثير، وفانياً بباق، وشقاوةً بسعادة. ألا ترون أنكم في أصلاب الهالكين، وسيخلفه بعدكم الباقون؟ ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غادياً رائحاً إلى الله قد قضى نحبه، وانقطع أمله، فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب، وواجه الحساب؟».

والمقصود أن الله عز وجل قد أمد العبد في هذه المدة اليسيرة بالجنود والعـــدد والأمداد وبين له بماذا يحرز نفسه من عدوه، وبماذا يفتك نفسه إذا أسر.

« حديث يحيى بن زكريا عليهما السلام »

وقد روى الإمام أحمد ﷺ والترمذى من حديث الحارث الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال: **«إن الله سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا ﷺ بخمس كلمات أن يعمل بـها ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها، وأنه كاد أن يبطئ بها، فقال له عيسى عليه السلام: إن الله تعالى أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم. فقال يحيى: أخشى إن سبقتنى بـها أن يخسف بى أو أعذب فجمع يحيى الناس في**

بيت المقدس، فامتلأ المسجد، وقعد على الشرف، فقال: إن الله تبارك وتعالى أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن: أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق فقال له: هذه داري وهذا عملي، فاعمل وأد إليّ. فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يكن يلتفت، وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه، وإن ريح الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك. وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو فأوثقوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم. وأمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في إثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى، قال النبي ﷺ: وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثي جهنم»، فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلى وصام؟ قال: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»[1] قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، فقد ذكر ﷺ في هذا الحديث العظيم الشأن -الذي ينبغي لكل مسلم حفظه وتعقله- ما ينجي من الشيطان وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة في دنياه وأخراه.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، وابن خزيمة (٤٨٣)، (٩٣٠)، (١٨٩٥)، وابن حبان (٦٢٣٣) كما في «الإحسان» والطيالسي (١١٦١)، (١١٦٢)، والحاكم (١/ ١١٨، ٤١٢)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٢٧)، (٣٤٢٨)، (٣٤٣٠)، وأبو يعلى (٣/ ١٤٠)، والآجري في «الشريعة»، من طريق يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن أبي سلام أن الحارث الأشعري حدثه به. ويحيى قد صرح بالتحديث عند الحاكم وأبي يعلى والآجري وغيرهم.
قلت: وتابع يحيى عليه معاوية بن سلام.
أخرجه ابن خزيمة (٢/ ٦٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٣٦) من طريق معاوية عن زيد بن سلام به وسنده صحيح. كما قال الشيخ الألباني قدس الله روحه في «تخريج السنة»، وهذا الحديث من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلماً أن يخرجاها.

« الشـــرك »

فذكر مثل الموحد والمشرك، فالموحد كمن عمل لسيده في داره وأدى لسيده ما استعمله فيه، والمشرك كمن استعمله سيده في داره فكان يعمل ويؤدى خراجه وعمله إلى غير سيده، فهكذا المشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى ويتقرب إلى عدو الله تعالى بنعم الله تعالى.

ومعلوم أن العبد من بنى آدم لو كان مملوكه كذلك لكان أمقت المماليك عنده وكان أشد شيء غضباً عليه وطرداً له وإبعاداً، وهو مخلوق مثله كلاهما في نعمة غيرهما، فكيف برب العالمين الذى ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، وهو وحده المتفرد بخلق عبده ورحمته وتدبيره ورزقه ومعافاته وقضاء حوائجه، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب والخوف والرجاء والحلف والنذر والمعاملة، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر، وشواهد أحوالهم - بل وأقوالهم وأعمالهم - ناطقة بأنهم يحبون أنداده من الأحياء والأموات ويخافونهم ويرجونهم ويعاملونهم ويطلبون رضاءهم ويهربون من سخطهم أعظم مما يحبون الله تعالى ويخافون ويرجون ويهربون من سخطه، وهذا هو الشرك الذى لا يغفره الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء:٤٨)، والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به. وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً، وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً، فإن الله تعالى يستوفيه كله، وديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً، فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك فإنه لا يمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها.

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرم الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفس مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن

لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به، وأسنان هذا المفتاح هى الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وبر الوالدين، فأي عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحًا صالحاً من التوحيد وركب فيه أسناناً من الأوامر جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لا يفتح إلا به فلم يعقه عن الفتح عائق، اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار، فإنه يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها، وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده فلابد من دخول النار ليخرج خبثه فيها ويتطهر من درنه ووسخه، ثم يخرج منها فيدخل الجنة فإنها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب، قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ (النحل:٣٢)، وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ (الزمر:٧٣)، فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذى يؤذن بأنه سبب للدخول أي بسبب طيبكم قيل لكم ادخلوها.

وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلا خبيث. ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهى الدار التى تفنى وهى دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض.

« منزلة الصلاة »

وقوله في الحديث: «**وأمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت**» الالتفات المنهى عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى.

والثاني: التفات البصر. وكلاهما منهى عنه.

ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه. وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال: «**اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»[١] وفي أثر يقول الله تعالى: «**إلى خير مني، إلى خير مني؟**»[٢].

ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل قد استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً وقد انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به، لأن قلبه ليس حاضراً معه، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان ؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينيه ؟ فهذا المصلى لا يستوى والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته الذى قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه فامتلأ قلبه من هيبته، وذلت عنقه له، واستحيى من ربه تعالى أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه. وبين صلاتيهما، كما قال حسان بن عطية: «إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل والآخر ساه غافل».

فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله وبينه وبينه حجاب لم يكن إقبالاً ولا تقريباً، فما الظن بالخالق عز وجل؟ وإذا أقبل على الخالق عز وجل وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس والنفس مشغوفة بها ملأى منها فكيف يكون ذلك إقبالاً وقد ألهته الوساوس والأفكار وذهبت به كل مذهب؟

والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان وأشده عليه، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه، بل لا يزال به يعده ويمنِّيه وينسيه ويجلب عليه بخيله ورجْله حتى يهون عليه شأن الصلاة فيتهاون فيتركها. فإن عجز عن ذلك منه وعصاه العبد وقام في ذلك المقام أقبل عدو الله تعالى

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه البخاري (٧٥١)، (٣٢٩١)، وأبو داود (٣/ ١٧٨)، والنسائي (٣/ ٨) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً به.

(٢) أخرجه البزار من حديث جابر. وانظر: «الترغيب والترهيب» (١/ ٣٧٠).

حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسى الشيء والحاجة وأيس منها فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بـها ويأخذه عن الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله لم تخف عنه بالصلاة فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدى الله تعالى بقلبه وقالبه.. فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطاً وراحةً وروحاً، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها، لأنها قرة عينيه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بـها لا منها. فالمحبون يقولون: نصلى فنستريح بصلاتنا كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ: «**يا بلال أرحنا بالصلاة**»[1] ولم يقل أرحنا منها، وقال ﷺ: «**جعلت قرة عينى في الصلاة**»[2] فمن جعلت قرة عينه في الصلاة كيف تقر عينه بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها؟ فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذى قرة عينه في الصلاة هى التى تصعد ولها نور وبرهان، حتى يستقبل بـها الرحمن عز وجل فتقول: «**حفظك الله تعالى كما حفظتنى**» وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بـها وجه صاحبها وتقول: «**ضيعك الله كما ضيعتنى**»، وقد روى في حديث مرفوع رواه بكر بن بشر عن سعيد بن سنان عن أبى الزاهرية عن أبى شجرة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما -يرفعه- أنه قال: «**ما من مؤمن يتم الوضوء إلى أماكنه، ثم يقوم إلى الصلاة في وقتها فيؤديها لله عز وجل لم ينقص من وقتها وركوعها وسجودها ومعالمها شيئاً إلا رفعت له إلى الله عز وجل، بيضاء مسفرة يستضيء بنورها ما بين**

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (٤٩٨٥)، وأحمد (٥/ ٣٦٤) (٣٧١)، وقال الشيخ مقبل رحمه الله في «الصحيح المسند»: هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

(٢) حديث صحيح : أخرجه العقيلي (٤٦٥) في «الضعفاء»، والخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٣٧١)، (١٤/ ١٩٠). من طريق يحيى بن عثمان عن هقل بن زياد عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس ابن مالك مرفوعاً به. قال العقيلي: «يحيى بن عثمان الحربي عن هقل لا يتابع على حديثه عن الأوزاعي». قلت: يحيى هذا ثقة وكذا شيخه هقل. قال ابن معين في يحيى: ثقة ووثقه أبو زرعة وكذا ابن حبان وللحديث شواهد.

الخافقين حتى ينتهى بها إلى الرحمن عز وجل، ومن قام إلى الصلاة فلم يكمل وضوءها وأخرها عن وقتها واسترق ركوعها وسجودها ومعالمها رفعت عنه سوداء مظلمة ثم لا تجاوز شعر رأسه تقول: ضيعك الله كما ضيعتنى، ضيعك الله كما ضيعتنى»(١) فالصلاة المقبولة والعمل المقبول أن يصلى العبد صلاةً تليق بربه عز وجل فإذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به كانت مقبولة.

والمقبول من العمل قسمان:

أحدهما: أن يصلى العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله عز وجل ذاكر لله عز وجل على الدوام، فأعمال هذا العبد تعرض على الله عز وجل حتى تقف قبالته فينظر الله عز وجل إليها، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضية قد صدرت عن قلب سليم مخلص محب لله عز وجل متقرب إليه أحبها ورضيها وقبلها.

والقسم الثاني: أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة وينوى بها الطاعة والتقرب إلى الله، فأركانه مشغولة بالطاعة وقلبه لاه عن ذكر الله وكذلك سائر أعماله، فإذا رفعت أعمال هذا إلى الله عز وجل لم تقف تجاهه ولا يقع نظره عليها، ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال حتى تعرض عليه يوم القيامة فتميز، فيثيبه على ما كان له منها ويرد عليه ما لم يرد وجهه به منها.

فهذا قبوله لهذا العمل إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشرب والحور العين، وإثابة الأول رضا العمل لنفسه ورضاه عن معاملة عامله وتقريبه منه وإعلاء درجته ومنـزلته، فهذا يعطيه بغير حساب، فهذا لون والأول لون.

والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذى انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوساوس والأفكار.

---

(١) **إسناده ضعيف جدًا**: أخرجه الطبراني في «الكبير»، وفي «الأوسط»، والعقيلي في «الضعفاء» من حديث عبادة بن الصامت، وفي سنده سعيد بن سنان ضعيف وقد رمي بالوضع.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار. فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدى ربه عز وجل ناظراً بقلبه إليه مراقباً له ممتلئاً من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به.

فالقسم الأول: معاقب، **والثاني:** محاسب، **والثالث:** مكفر عنه، **والرابع:** مثاب **والخامس:** مقرب من ربه لأن له نصيباً ممن جعلت قرة عينه في الصلاة، فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات وقد روى أن العبد إذا قام يصلي قال الله عز وجل: «**ارفعوا الحجب، فإذا التفت قال ارخوها**»، وقد فسر هذا الالتفات بالتفات القلب عن الله عز وجل إلى غيره، فإذا التفت إلى غيره أرخى الحجاب بينه وبين العبد فدخل الشيطان وعرض عليه أمور الدنيا وأراه إياها في صورة المرآة، وإذا أقبل بقلبه على الله ولم يلتفت لم يقدر الشيطان على أن يتوسط بين الله تعالى وبين ذلك القلب، وإنما يدخل الشيطان إذا وقع الحجاب، فإن فر إلى الله تعالى وأحضر قلبه فر الشيطان، فإن التفت حضر الشيطان، فهو هكذا شأنه وشأن عدوه في الصلاة.

فصل « القلوب »

وإنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربه عز وجل إذا قهر شهوته وهواه، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة وأسره الهوى ووجد الشيطان فيه مقعداً تمكن فيه كيف يخلص من الوساوس والأفكار؟

والقلوب ثلاثة: قلب خال من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه لأنه قد اتخذه بيتاً ووطناً وتحكم فيه بما يريد وتمكن منه غاية التمكن.

القلب الثاني: قلب قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال. وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، منهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر، ومنهم من هو تارة وتارة.

القلب الثالث: قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره في صدره إشراق، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به، فهو كالسماء التى حرست بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن، وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء، والسماء متعبد الملائكة ومستقر الوحى وفيها أنوار الطاعات، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوارها، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو فلا ينال منه شيئاً إلا خطفة، وقد مثل ذلك بمثال حسن وهو: ثلاثة بيوت، بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره، وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره وليس جواهر الملك وذخائره، وبيت خال صفر لا شيء فيه، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت فمن أيها يسرق؟

فإن قلت من البيت الخالي كان محالاً لأن البيت الخالي ليس فيه شيء يسرق، ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما: «إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها، فقال: وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب؟».

وإن قلت: يسرق من بيت الملك كان ذلك كالمستحيل الممتنع، فإن عليه من الحرس واليزك ما لا يستطيع اللص الدنو منه، كيف وحارسه الملك بنفسه؟ وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجند ما حوله؟ فلم يبق للص إلا البيت الثالث فهو الذى يشن عليه الغارات، فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل ولينـزله على القلوب فإنها على منواله. فقلب خلا من الخير كله وهو قلب الكافر والمنافق فذلك بيت الشيطان قد أحرزه لنفسه واستوطنه واتخذه سكناً ومستقراً، فأى شيء يسرق منه

وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه، وقلب قد امتلأ من جلال الله عز وجل وعظمته ومحبته ومراقبته والحياء منه، فأى شيطان يجترئ على هذا القلب؟ وإن أراد سرقة شيء منه فماذا يسرق؟ وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخطفة ونهب يحصل له على غرة من العبد وغفلة لابد له منها، إذ هو بشر وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو والذهول وغلبة الطبع، وقد ذكر عن وهب بن منبه -رحمه الله تعالى- أنه قال: في بعض الكتب الإلهية «لست أسكن البيوت ولا تسعنى، وأى شيء يسعني والسموات حشو كرسى؟ ولكن أنا في قلب الوادع التارك لكل شيء سواى» وهذا معنى الأثر الآخر «ما وسعتنى سمواتى ولا أرضى، ووسعنى قلب عبدى المؤمن»، وقلب فيه توحيد الله تعالى ومعرفته ومحبته والإيمان به والتصديق بوعده ووعيده، وفيه شهوات النفس وأخلاقها ودواعى الهوى والطباع، وقلب بين هذين الداعيين: فمرة يميل بقلبه داعى الإيمان والمعرفة والمحبة لله تعالى وإرادته وحده، ومرة يميل بقلبه داعى الشيطان والهوى والطباع، فهذا القلب للشيطان فيه مطمع، وله منه منازلات ووقائع، ويعطى الله النصر من يشاء ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ (آل عمران:١٢٦)، وهذا لا يتمكن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه، فيدخل إليه للشيطان فيجد سلاحه عنده فيأخذه ويقاتله به، فإن أسلحته هى الشهوات والشبهات والخيالات والأمانى الكاذبة، وهى في القلب، فيدخل الشيطان فيجدها عتيدة فيأخذها ويصول بها على القلب، فإن كان عند العبد عدة عتيدة من الإيمان تقاوم تلك العدة وتزيد عليها انتصف من الشيطان، وإلا فالدولة لعدوه عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا أذن العبد لعدوه وفتح له باب بيته وأدخله عليه ومكنه من السلاح يقاتله به فهو الملوم.

فنفسك لُمْ ولا تلـم المطـايـا ❁ ومت كمدًا فليس لك اعتذار

« منزلة الصيام »

عدنا إلى شرح حديث الحارث الذي فيه ذكر ما يحرز العبد من عدوه: قوله ﷺ: **«وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك مثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»** إنما مثل ﷺ ذلك بصاحب الصرة التى فيها المسك لأنها مستورة عن العيون مخبوءة تحت ثيابه كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم صومه مستور عن مشاهدة الخلق لا تدركه حواسهم، والصائم هو

الذى صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعاً صالحاً، وكذلك أعماله فهى بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم.

هذا هو الصوم المشروع لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب، ففي الحديث الصحيح: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**»[١]، وفي الحديث: «**رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش**»[٢] فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته، فتصيره بمنزلة من لم يصم.

وقد اختلف في وجود هذه الرائحة من الصائم هل هى في الدنيا أو في الآخرة على قولين:

ووقع بين الشيخين الفاضلين أبى محمد (عز الدين) بن عبد السلام وأبى عمرو بن الصلاح في ذلك تنازع، فمال أبو محمد إلى أن تلك في الآخرة خاصة وصنف فيه مصنفاً، ومال الشيخ أبو عمرو إلى أن ذلك في الدنيا والآخرة وصنف فيه مصنفاً رد فيه على أبي محمد، وسلك أبو عمرو في ذلك مسلك أبى حاتم بن حبان فإنه في صحيحه بوب عليه كذلك فقال: ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك ثم ساق حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، والصيام لى وأنا أجزى به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»[٣] ثم قال: «ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم يكون أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة» ثم ساق حديثاً من حديث ابن جريج عن عطاء عن أبى صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: كل عمل**

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري (١٩٠٣)، (٦٠٥٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) **حديث صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٧٣)، والحاكم (١/ ٤٣١)، والبيهقي (٤/ ٢٧٠). وسنده صحيح.

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (٢٦٦٣)، والنسائي (٤/ ١٦٣-١٦٤)، من حديث أبي هريرة مرفوعاً به.

ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى، وأنا أجزى به. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى الله تعالى فرح بصومه»[١] قال أبو حاتم: شعار المؤمنين يوم القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقاً بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في القيامة بصومهم طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك، ليعرفوا من بين ذلك الجمع بذلك العمل، جعلنا الله تعالى منهم، ثم قال: ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم قد يكون أيضاً أطيب من ريح المسك في الدنيا، ثم ساق من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبى هريرة عن النبي ﷺ : «كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، يقول الله عز وجل: إلا الصوم فهو لى وأنا أجزى به، يدع الطعام من أجلى والشراب من أجلى وأنا أجزى به، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه عز وجل، ولخلوف فم الصائم حين يخلف من الطعام أطيب عند الله من ريح المسك»، واحتج الشيخ أبو محمد بالحديث الذي فيه تقييد الطيب بيوم القيامة. قلت: ويشهد لقوله الحديث المتفق عليه «والذي نفسي بيده ما من مكلوم يكلم في سبيل الله -والله أعلم بمن يكلم في سبيله- إلا جاء يوم القيامة كلمه يدمى: اللون لون دم، والريح ريح مسك»[٢] فأخبر ﷺ عن رائحة كلم المكلوم في سبيل الله عز وجل بأنها كريح المسك يوم القيامة، وهو نظير إخباره عن خلوف فم الصائم، فإن الحس يدل على أن هذا دم في الدنيا وهذا خلوف له، ولكن يجعل الله رائحة هذا وهذا مسكًا يوم القيامة، واحتج الشيخ أبو عمرو بما ذكره أبو حاتم في صحيحه من تقييد ذلك بوقت إخلافه، وذلك يدل على أنه في الدنيا، فلما قيد المبتدأ وهو خلوف فم الصائم بالظرف وهو قوله -حين يخلف- كان الخبر عنه وهو قوله: «أطيب عند الله» خبراً عنه في حال تقييده، فإن المبتدأ إذا تقيد بوصف أو حال أو ظرف كان الخبر عنه حال كونه مقيدًا، فدل على أن طيبه عند الله تعالى ثابت حال إخلافه. قال: وروى الحسن بن سفيان في مسنده عن جابر أن النبي ﷺ قال: «أعطيت أمتى في شهر رمضان خمساً»، فذكر الحديث وقال فيه: «وأما الثانية فإنهم يمسون وريح أفواههم أطيب عند الله

---

(١) إسناده صحيح : أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (٨٠٦).
(٢) إسناده صحيح : أخرجه البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٤٩٦).

من ريح المسك»[١]. ثم ذكر كلام الشراح في معنى طيبة وتأويلهم إياه بالثناء على الصائم والرضا بفعله، على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة، حتى كأنه قد بورك فيه فهو موكل به، وأى ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء على فاعله والرضا بفعله، وإخراج اللفظ عن حقيقته؟ وكثير من هؤلاء ينشئ للفظ معنى ثم يدعى إرادة ذلك المعنى بلفظ النص من غير نظر منه إلى استعمال ذلك اللفظ في المعنى الذى عينه أو احتمال اللغة له. ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة على الله تعالى ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت، فإن لم يكن ذلك معلوماً بوضع اللفـظ لذلك المعنى أو عرف الشارع ﷺ وعادته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنى أو تفسيره له به وإلا كانت شهادة باطلة، وأدنى أحوالها أن تكون شهادة بلا علم.

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك، فمثل النبي ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم. ونسبة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين، كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكراهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك، كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات خلقه وصفاته لا تشبه صفاتهم وأفعاله لا تشبه أفعالهم، وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطيب فيصعد إليه، والعمل الصالح فيرفعه، وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا، ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال إذ ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله في الرضا، فإن قال رضا ليس كرضا المخلوقين، فقولوا استطابة ليست كاستطابة المخلوقين، وعلى هذا جميع ما يجيء من هذا الباب، ثم قال: وأما ذكر يوم القيامة في الحديث فلأنه يوم الجزاء، وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلباً لرضاء الله تعالى حيث يؤمر باجتنابها واجتلاب الرائحة الطيبة كما في المساجد والصلوات وغيرها من العبادات، فخص يوم القيامة بالذكر في بعض الروايات كما خص في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (العاديات:١١)، وأطلق في باقيها نظراً إلى أن أصل أفضليته ثابت في الدارين.

---

(١) إسناده ضعيف : أخرجه البيهقي بسند ضعيف.

قلت: من العجب رده على أبي محمد بما لا ينكره أبو محمد ولا غيره، فإن الذي فسر به الاستطابة المذكورة في الدنيا بثناء الله تعالى على الصائمين ورضائه بفعلهم أمر لا ينكره مسلم، فإن الله تعالى قد أثنى عليهم في كتابه وفيما بلغه عنه رسوله ﷺ ورضى بفعله، فإن كانت هذه هي الاستطابة أفترى الشيخ أبو محمد ينكرها والذي ذكره الشيخ أبو محمد أن هذه الرائحة إنما يظهر طيبها على طيب المسك في اليوم الذي يظهر فيه طيب دم الشهيد ويكون كرائحة المسك، ولا ريب أن ذلك يوم القيامة فإن الصائم في ذلك اليوم يجيء ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك كما يجيء المكلوم في سبيل الله عز وجل ورائحة دمه كذلك، لا سيما والجهاد أفضل من الصيام، فإن كان طيب رائحته إنما يظهر يوم القيامة فكذلك الصائم.

وأما حديث جابر: «**فإنهم يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك**»، فهذه جملة حالية لا خبرية، فإن خبر إمسائه لا يقترن بالواو لأنه خبر مبتدأ فلا يجوز اقترانه بالواو. وإذا كانت الجملة حالية فلأبي محمد أن يقول: هي حال مقدرة والحال المقدرة يجوز تأخيرها عن زمن الفعل العامل فيها، ولهذا لو صرح بيوم القيامة في مثل هذا فقال: يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك يوم القيامة لم يكن التركيب فاسداً، كأنه قال يمسون وهذا لهم يوم القيامة وأما قوله: «**لخلوف فم الصائم حين يخلف**» فهذا الظرف تحقيق للمبتدأ أو تأكيد له وبيان إرادة الحقيقة المفهومة منه لا مجازه ولا استعارته، وهذا كما تقول: جهاد المؤمن حين يجاهد وصلاته حين يصلي يجزيه الله تعالى بها يوم القيامة ويرفع بها درجته يوم القيامة، وهذا قريب من قوله ﷺ: «**لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[1] وليس المراد تقييد نفي

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٥٧)، (١٠٣)، وأحمد (٢/ ٣١٧)، وعبد الرزاق (١٣٦٨٢)، وأبو عوانة (١/ ٢٠)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٥٩٧٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٩٦)، وفي «الاعتقاد» (ص ٣٣٥) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٨٥٨) عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة مرفوعاً به. وللحديث طرق أخرى كثيرة عن أبي هريرة ﷺ في «الصحيحين» وغيرهما.
وقال البيهقي في «الاعتقاد» (ص ٣٣٦) -تحقيق شيخنا- حول هذا الحديث ونحوه: إنما أراد والله أعلم أن هذه الأفعال ليست ممن يكون مؤمناً مستكمل الإيمان. =

الإيمان المطلق عنه حالة مباشرة تلك الأفعال فقط بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان، بل هذا النفي مستمر إلى حين التوبة، وإلا فما دام مصراً وإن لم يباشر الفعل فالنفي لاحق به ولا يزول عنه اسم الزاني والأحكام المترتبة على المباشرة إلا بالتوبة النصوح. والله سبحانه وتعالى أعلم.

« خلو فم الصائم »

وفصل النـزاع في المسألة أن يقال: حيث أخبر النبي ﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم، وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يمسون فلأنه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طيبها على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته، وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد فرب مكروه عند الناس محبوب عند الله تعالى، وبالعكس، فإن الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم، والله تعالى يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبته فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد وصار علانية، وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر، وإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة، وقد يقوى العمل ويتزايد حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا وفي الخير والشر كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس: «إن للحسنة ضياءً في الوجه ونوراً في القلب وقوةً في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق. وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق».

وقال عثمان بن عفان: «ما عمل رجل عملاً إلا ألبسه الله تعالى رداءه، إن خيراً

= قلت: الأولى أن يفيد بأنه ترك الإيمان الواجب، وذلك حتى لا يفهم أن فعل هذه الكبائر إنما هو من ترك كمال الإيمان المستحب وهذا خلاف معتقد أهل السنة.

وانظر: «إعلان النكير» (ص ٨٩-٩٠)، (١١٨-١٢٣) لشيخنا أبي عبد الله أحمد بن أبي العينين حفظه الله ورعاه، و«مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

فخير، وإن شراً فشر». وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم، حتى إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وإن لم يمس طيباً، فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الذي أصابه الهوى لا يشم له لا هذا ولا هذا، بل زكامه يحمله على الإنكار، فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

فصل « منزلة الصدقة »

قوله: «**وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده، إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: أنا أفتدى منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم**»، هذا أيضاً من الكلام الذى برهانه وجوده، ودليله وقوعه، فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه.

وقد روى الترمذى في جامعه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**إن الصدقة تطفئ غضب الرب؛ وتدفع ميتة السوء**»[1]، وكما أنها تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى فهي تطفئ الذنوب والخطايا كما يطفئ الماء النار.

وفي الترمذى عن معاذ بن جبل قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقال: «**ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنة، والصدقة تطفئ الخطيئة**

(١) إسناده ضعيف : أخرجه الترمذي (٦٦٤) من طريق عبد الله بن عيسى الخزار البصري عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس مرفوعاً به، وعبد الله بن عيسى الخزار ضعيف الحديث.
والحسن البصري مدلس وقد عنعنه فهو من المشهورين بالتدليس كما قال برهان الدين الحلبي، وقال الحافظ في «التقريب»: كان يرسل كثيراً ويدلس، وقال الذهبي: «كان كثير التدليس فإذا قال في حديث: «عن فلان» ضعف احتجاجه، ولا سيما بمن قيل إنه لم يسمع منهم كأبي هريرة وغيره».
وقال الحاكم في «معرفة علوم الحديث»: «فليعلم صاحب الحديث أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة».
ووضعه الحافظ ابن حجر في «الطبقة الثانية» من طبقات المدلسين. قلت: فكان الأولى به أن يكون في «الطبقة الثالثة» التي قال فيها كما في «المقدمة»: «من أكثر من التدليس فلم يحتج به الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ومنهم من رد حديثهم مطلقاً، ومنهم من قبلهم».

كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة:١٦)»[١].

وفى بعض الآثار: «باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطى الصدقة». وفى تمثيل النبى ﷺ ذلك بمن قدم ليضرب عنقه فافتدى نفسه منهم بماله كفاية، فإن الصدقة تفدى العبد من عذاب الله تعالى، فإن ذنوبه وخطاياه تقتضى هلاكه فتجيء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه، ولهذا قال النبى ﷺ في الحديث لما خطب النساء يوم العيد: «يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار»[٢] وكأنه حثهن ورغبهن على ما يفدين به أنفسهن من النار.

وفي الصحيحين عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[٣].

وفي حديث أبي ذر أنه قال: «سألت رسول الله ﷺ ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: «الإيمان بالله» قلت: يا نبي الله، مع الإيمان عمل؟ قال: «أن ترضخ مما خولك الله». أو: «ترضخ مما رزقك الله» قلت: يا نبي الله، فإن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ؟ قال: «يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر». قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال: «فليعن الأخرق» قلت يا رسول الله، أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: «فليعن مظلوماً» قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يعين

---

(١) حديث حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣) من طريق معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ به. وللحديث طرق أخرى عن معاذ يصل بها إلى درجة الحسن.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠)، من حديث زينب امرأة عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً به.

(٣) أخرجه البخاري (١٤١٣)، (١٤١٧)، (٣٥٩٥)، (٦٠٢٣)، (٦٥٣٩)، (٦٥٤٠)، (٦٥٦٣)، (٧٥١٢) ومسلم (١٠١٦)، والنسائي (٥/ ٧٤-٧٥)، وابن ماجه (١٨٥)، (١٨٤٣)، والترمذي (٢٤١٥)، وأحمد (٤/ ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٧٧، ٣٧٩) وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٢٨)، وفي «التوحيد» (٢١٥)، والطيالسي (١٠٣٥)، (١٠٣٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٦٣٢)، والآجري في «الشريعة» (٦٦٤)، (٦٦٥). كلهم من طرق عن عدي، بعضهم مختصراً، وبعضهم مطولاً.

مظلوماً؟ قال: «ما تريد أن تترك في صاحبك من خير! ليمسك أذاه عن الناس»، قلت: يا رسول الله، أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة؟ قال: «ما من مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى أدخلته الجنة»، ذكره البيهقي في كتاب شعب الإيمان.

وقال عمر بن الخطاب: «ذكر لي أن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة: أنا أفضلكم»[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: «ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد أو جنتان من حديد، قد اضطرت أيديهما إلى ثدييهما وتراقيهما، فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تفشي أنامله وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما همَّ بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة مكانها. قال أبو هريرة: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يقول بإصبعيه هكذا في جبته فرأيته يوسعها ولا تتسع»[2]، ولما كان البخيل محبوساً عن الإحسان ممنوعاً عن البر والخير كان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصدر، ممنوع من الانشراح، ضيق العطن، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهم والغم والحزن، لا يكاد تقضى له حاجة ولا يعان على مطلوب، فهو كرجل عليه جبة من حديد قد جمعت يداه إلى عنقه بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها، وكلما أراد إخراجها أو توسيع تلك الجنة لزمت كل حلقة من حلقها موضعها، وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فبقى قلبه في سجنه كما هو، المتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره فهو بمنـزلة اتساع تلك الجبة عليه، فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح وقوى فرحه وعظم سروره، ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقاً بالاستكثار منها والمبادرة إليها، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (التغابن:١٦).

وكان عبد الرحمن بن عوف -أو سعد بن أبي وقاص- يطوف بالبيت وليس له دأب إلا هذه الدعوة، «رب قني شح نفسي، رب قني شح نفسي»، فقيل له: أما تدعو بغير هذه الدعوة، فقال: «إذا وقيت شح نفسي فقد أفلحت».

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤١٩)، من طريق سعيد بن المسيب عن عمر به، وسعيد لم يسمع من عمر.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٤٣)، وفي مواضع، ومسلم (١٠٢١)، من حديث أبي هريرة مرفوعاً به.

والفرق بين الشح والبخل أن الشح هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله وجشع النفس عليه، والبخل منع إنفاقه بعد حصوله وحبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشح والشح يدعو إلى البخل والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقى شره، وذلك هو المفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩).

والسخى قريب من الله تعالى ومن خلقه ومن أهله، وقريب من الجنة وبعيد من النار، والبخيل بعيد من خلقه بعيد من الجنة قريب من النار، فجود الرجل يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده.

ويظهر عيب المرء فى الناس بخله	ويستره عنهم جميعًا سخاؤه
تغط بأثواب السخاء فإنني	أرى كل عيب فالسخاء غطاؤه
وقارن إذا قارنت حرًا فإنما	يزين ويزري بالفتى قرناؤه
وأقلل إذا ما اسطعت قولاً فإنه	إذا قل قول المرء قل خطاؤه
إذا قل مال المرء قل صديقه	وضاقت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدري وإن كان حازمًا	أقدّامه خير له أم وراؤه
إذا المرء لم يختر صديقًا لنفسه	فناد به فى الناس هذه جزاؤه

وحد السخاء بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة، وليس - كما قال بعض من نقص علمه - حد الجود بذل الموجود. ولو كان كما قال هذا القائل لارتفع اسم السرف والتبذير، وقد ورد الكتاب بذمهما، وجاءت السنة بالنهى عنهما.

« السخاء »

وإذا كان السخاء محموداً فمن وقف على حده سمى كريماً وكان للحمد مستوجبًا، ومن قصر عنه كان بخيلاً وكان للذم مستوجباً، وقد روى في أثر: أن الله عز وجل أقسم بعزته ألا يجاوره بخيل.

والسخاء نوعان: فأشرفهما سخاؤك عما بيد غيرك، والثاني سخاؤك ببذل ما في يدك، فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يعطيهم شيئاً، لأنه سخا عما في أيديهم، وهذا معنى قول بعضهم: السخاء أن تكون بمالك متبرعاً، وعن مال غيرك متورعاً.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: أوحى الله إلى إبراهيم ﷺ : «أتدرى لم اتخذتك خليلاً؟ قال: لا. قال لأنى رأيت العطاء أحب إليك من الأخذ»، وهذه صفة من صفات الرب جل جلاله فإنه يعطى ولا يأخذ ويُطعِم ولا يُطعَم، وهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، وأحب الخلق إليه من اتصف بمقتضيات صفاته، فإنه كريم يحب الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال، روى الترمذى في جامعه قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو عامر، أخبرنا خالد بن إلياس، عن صالح بن أبى حسان قال سمعت سعيد بن المسيب يقول: إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أخبيتكم ولا تشبهوا باليهود قال فذكرت ذلك للمهاجر بن مسمار فقال: حدثنيه عامر بن سعد عن أبيه رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ مثله إلا أنه قال: «**فنظفوا أفنيتكم**» هذا حديث غريب[1]، خالد بن إلياس يضعف، وفي الترمذى أيضاً في كتاب البر قال: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا سعيد بن محمد الوراق، عن يحيى بن سعيد، عن الأعرج، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل**»[2]. وفي الصحيح «**إن الله تعالى وتر يحب الوتر**»[3]، وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفظ الغليظ القاسي الجعظري

---

(١) **إسناده ضعيف** : أخرجه الترمذي (٢٧٩٩) حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عامر أخبرنا خالد بن إلياس عن صالح بن أبي حسان به، وسنده ضعيف من أجل خالد بن إلياس فهو ضعيف وإليه أشار الترمذي رحمه الله قال ابن حبان: «يروي الموضوعات عن الثقات حتى يسبق إلى القلب أنه الواضع لها لا يكتب حديثه، لا على جهة التعجب».

(٢) **إسناده ضعيف** : أخرجه الترمذي (١٩٦١). سعيد بن الوراق ضعيف جداً. قال ابن معين «ليس بشيء». وقال ابن سعد وغيره: «ضعيف»، وقال النسائي: «ليس بثقة»، وقال الدارقطني: «متروك».

(٣) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة مرفوعاً به.

الجواظ، ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم، وبر يحب البر وأهله، وعدل يحب العدل، وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجوداً وعدماً، فمن عفا عفا عنه، ومن غفر غفر له، ومن سامح سامحه ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاق شاق الله تعالى به ومن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه، ولهذا جاء في الحديث: **«من ستر مسلماً ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة، ومن نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله تعالى حسابه، ومن أقال نادماً أقال الله تعالى عثرته، ومن أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله تعالى في ظل عرشه»**[1] لأنه لما جعله في ظل الإنظار والصبر ونجاه من حر المطالبة وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجزه نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش، وكذلك الحديث الذي في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته يوماً: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»**[2]، فكما تدين تدان. وكن كيف شئت فإن الله تعالى لك كما تكون أنت له ولعباده، ولما أظهر المنافقون الإسلام وأسروا الكفر، أظهر الله تعالى لهم يوم القيامة نورًا على الصراط وأظهر لهم أنهم يجوزون الصراط، وأسرَّ لهم أن يطفئ نورهم، وأن يحال بينهم وبين الصراط من جنس أعمالهم، وكذلك من يظهر للخلق خلاف ما يعلمه الله فيه، فإن الله تعالى يظهر له في الدنيا والآخرة أسباب الفلاح

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٣٦٩٩)، وأبو داود (٢/ ٣٠٧)، والترمذي (١٤٢٥)، (١٩٣١)، وابن ماجه (١/ ٩٩)، (٢/ ١١٢) وابن الجارود في «المنتقى» (٨٠٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٢، ٢٩٦، ٣٨٨، ٤٠٤، ٥٠٠، ٥١٤، ٥٢٢)، والخطيب في «تاريخه» (١٠/ ٨٥) والحاكم (٤/ ٣٨٣-٣٨٤). كلهم من طرق عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً به.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٢٢١، ٤٢٤) من حديث أبي برزة الأسلمي مرفوعاً به. وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٩٣): «ورجاله ثقات» وحسنه المنذري في «الترغيب» (٣/ ٢٤٠). وله شواهد منها عن بريدة بن الحصيب وابن عمرو ابن عباس ﷺ.

والنجاح والفوز ويبطن له خلافها و في الحديث «من راءى راءى الله به، ومن سمع سمع الله به»[1].. والمقصود أن الكريم المتصدق يعطيه الله ما لا يعطي البخيل الممسك ويوسع عليه في ذاته وخلقه ورزقه ونفسه وأسباب معيشته جزاء له من جنس عمله.

« فضل ذكر الله »

وقوله ﷺ : «**وأمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك مثل رجل خرج العدو في إثره سراعاً حتى إذا أتى إلى حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله**» فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجاً بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوصع وكالذباب، ولهذا سمي ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ أى يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس أى كف وانقبض، قال ابن عباس: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس».

و في مسند الإمام أحمد عن عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن زياد بن أبى زياد مولى عبد الله بن عباس بن أبى ربيعة أنه بلغه عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما عمل آدمى عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل**».

وقال معاذ: قال رسول الله ﷺ : «**ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله عز وجل**»[2].

وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، (٧١٥٢)، ومسلم (٢٩٨٧) من حديث جندب مرفوعاً به. وله شواهد عن جماعة من الصحابة.

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٩) وفيه انقطاع. وأخرجه الترمذي (٩/ ٣١٧)، وابن ماجه (٢/ ٢٤٥) وأحمد (٥/ ٢٩٥) من طريق عبد الله بن سعيد عن زياد مولى ابن عياش عن أبي بحرية عن أبي الدرداء مرفوعاً به. وسنده صحيح والحديث صححه الشيخ مقبل - رحمه الله تعالى - (٢/ ١٤٤)، وانظر تعليقي على «جلاء الأفهام» رقم (٤٨١) للمؤلف.

على جبل يقال له جمدان فقال: «سيروا، هذا جمدان، سبق المفردون. قيل: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[(١)].

وفي السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة»[(٢)].

وفي رواية الترمذي: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[(٣)].

وفي صحيح مسلم عن الأغر أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٦)، والبيهقي (١/ ٣١٣-٣١٤) من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً به، وأخرجه الترمذي (٢/ ٢٧٩)، والبيهقي (١/ ٣١٤) كلاهما من طريق عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً به، وقال الترمذي: «حسن غريب». وعمر بن راشد ضعيف الحديث، وأخرجه أحمد (٢/ ٣٢٣)، والحاكم (١/ ٤٩٥-٤٩٦) والبيهقي في «الشعب» (١/ ٣١٤) عن أبي عامر العقدي عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الرقة عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه. وعلي بن المبارك قد تكلم فيه بعضهم وخاصة روايته عن يحيى بن أبي كثير. وانظر الصحيحة (٣/ ٣٠٥).
تنبيه: وقد استدل بهذا الحديث بعض جهلة الصوفية على جواز ما يفعلونه من الرقص والاهتزاز يميناً ويساراً. وانظر تفنيد هذا في «الصحيحة» (٣/ ٣٠٧-٣٠٨).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٥٥)، والنسائي (٤٠٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٣٩)، والحاكم (١/ ٤٩٢)، والطحاوي (٢/ ٣٦٧)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٠٣، ٥٤١) وأحمد (٢/ ٣٨٩، ٥١٥، ٥٢٧) من طرق عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي والألباني. وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة.

(٣) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٣٣٨٠)، وأحمد (٢/ ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٨١، ٤٨٤)، وابن السني في «عمل اليوم و الليلة» (٤٣٣)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٥٤). والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٢١٠)، من طرق عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وقال ابن معين في - صالح هذا -: هو حجة قبل أن يختلط فرواية ابن أبي ذئب عنه قبل الاختلاط.
قلت: ففي الطرق المشار إليها آنفًا قد روى عنه ابن أبي ذئب وزياد بن سعد عند أحمد وعمارة بن غزية عند الطبراني والحاكم. وقد تابعه عليه جماعة. منهم أبو صالح السمان، وسعيد بن أبي سعيد المقبري، وأبو إسحاق مولى الحارث، ثم للحديث شواهد عن جماعة من الصحابة.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٠)، وابن ماجه (٢/ ٤١٨) والترمذي (٢/ ٢٤٢)، وغيرهما من طرق عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد معاً مرفوعاً به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وفي الترمذي عن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن أبواب الخير كثيرة ولا أستطيع القيام بكلها، فأخبرني بما شئت أتشبث به ولا تكثر عليَّ فأنسى، وفي رواية: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، وأنا قد كبرت، فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: **«لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى»**(١).

و في الترمذي أيضاً عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ سئل أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: **«الذاكرون الله كثيراً»** قيل: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: **«لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى يتكسر ويختضب دماً كان الذاكر لله تعالى أفضل منه درجة»**(٢).

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: **«مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»**(٣).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»**(٤).

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه الترمذي (٩/ ٣١٤)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٦) من طرق عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن بسر به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. يعني حسن لذاته وانظر «القول الحسن في تميز الحديث الحسن» لشيخنا أبي عبد الله أحمد حفظه الله ورعاه (ص ١٦٧-١٧٣).

(٢) **إسناده ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٣٧٦)، من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به.
وقال الترمذي: وهذا حديث غريب إنما نعرفه من طريق دراج «إشارة إلى ضعفه». ودراج ضعيف الحديث.
قال ابن أبي حاتم (٢/ ٢٠٦) عن أبيه: إنه منكر الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) من حديث أبي موسى مرفوعاً به.

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٠٥). ومواضع أخرى ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً به. وله شاهد عن أبي ذر أخرجه مسلم (٨/ ٦٧)، وابن ماجه (٣٨٢١)، وأحمد (٥/ ١٥٣، ١٦٩).

وفي الترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**» قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قَالَ: «**حلق الذكر**»[١].

و في الترمذى أيضاً عن النبى ﷺ عن الله عز وجل أنه يقول: «**إن عبدى كل عبدى الذي يذكرنى وهو ملاق قرنه**»[٢] وهذا الحديث هو فصل الخطاب في التفضيل بين الذاكر والمجاهد، فإن الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى، فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون. قَالَ الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال:٤٥)، فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معاً ليكونوا على رجاء من الفلاح، وقد قَالَ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٤١)، وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ (الأحزاب:٣٥)، أي كثيراً وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة:٢٠٠)، ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه وعدم استغنائه عنه طرفه عين، فأى لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله، وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أعظم مما حصله.

وذكر البيهقى عن عائشة عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة**»[٣].

وذكر عن معاذ بن جبل –يرفعه– أيضاً «**ليس تحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها**».

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٥١٠) من طريق محمد بن ثابت البناني قال: حدثني أبي عن أنس مرفوعاً، ومحمد بن ثابت ضعيف الحديث جداً. قال الذهبي «محمد» ضعفه النسائي، وقال الحافظ: ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٥٨٠). وفي سنده عفير بن معدان وهو ضعيف.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ليس إسناده بالقوي ولا نعرف لعمارة عن زعكرة عن النبي ﷺ إلا هذا الحديث الواحد.

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٦١). وفي سنده عمرو بن الحصين وهو ضعيف جداً.

وعن أم حبيبة زوج النبى ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ : «**كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكراً لله عز وجل**»(١).

وعن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ﷺ : أى الأعمال أحب إلى الله ﷻ ؟ قال: «**أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل**»(٢). وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه: «لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله ﷻ».

وذكر البيهقى -مرفوعاً- من حديث عبد الله بن عمر ﷺ عن النبى ﷺ أنه كان يقول: «**لكل شيء صقالة، وإن صقالة القلوب ذكر الله عز وجل وما من شيء أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله عز وجل**» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: «**ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع**»(٣)، ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا ترك صدئ، فإذا ذكر جلاه.

وصدأ القلب بأمرين بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر، فمن كانت في الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صورة المعلومات على ما هى عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هى عليه، فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً، وهذا أعظم عقوبات القلب، وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ (الكهف:٢٨)، فإذا أراد العبد أن يقتدى برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً،

---

(١) إسناده ضعيف : أخرجه الترمذي (٢٤١٢)، وابن ماجه (٣٩٧٤)، والحاكم (٢/ ٥١٢-٥١٣)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٦١-٢٦٢)، وابن السني (٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٩٥٤)، وغيرهم وفي سنده أم صالح قال في التقريب: لا يعرف حالها.

(٢) قال الحافظ في «بلوغ المرام» (ص ٤٥٢): أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان».

ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع، أى أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه، وفسر بالإسراف أى قد أفرط، وفسر بالإهلاك وفسر بالخلاف للحق، وكلها أقوال متقاربة، والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه فإن وجده كذلك فليبعد منه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز وجل واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليستمسك بغرزه، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر، فمثل الذي يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحي والميت. وفي المسند مرفوعاً: «**أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون**»[١].

« فوائد الذكر »

و في الذكر أكثر من مائة فائدة:

إحداها: أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

الثانية: أنه يرضى الرحمن عز وجل.

الثالثة: أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الرابعة: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

الخامسة: أنه يقوى القلب والبدن.

السادسة: أنه ينور الوجه والقلب.

السابعة: أنه يجلب الرزق.

الثامنة: أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

التاسعة: أنه يورثه المحبة التي هى روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة، وقد جعل الله لكل شيء سبباً وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فإنه الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم.

---

(١) حديث ضعيف : أخرجه أحمد (٣/ ٦٨) من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعاً به. ودراج ضعيف الحديث في روايته عن أبي الهيثم.

العاشرة: أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

الحادية عشرة: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عز وجل، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله ﷻ مفزعه وملجأه، وملاذه ومعاذه، وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا.

الثانية عشرة: أنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

الثالثة عشرة: أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

الرابعة عشرة: أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

الخامسة عشرة: أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة:١٥٢)، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً، وقال ﷺ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم**»[١].

السادسة عشرة: أنه يورث حياة القلب، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله تعالى روحه- يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟

السابعة عشرة: أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته، وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي، أو كلاماً قريباً من هذا، وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر، أو كلاماً هذا معناه.

---

(١) حديث صحيح : وقد سبق تخريجه قريباً (ص ٤٠).

الثامنة عشرة: أنه يورث جلاء القلب من صداه كما تقدم في الحديث. وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار وقد تقدم هذا المعنى.

التاسعة عشرة: أنه يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

العشرون: أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، فإن للغافل بينه وبين الله ﷻ وحشة لا تزول إلا بالذكر.

الحادية والعشرون: أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكِّر بصاحبه عند الشدة، فقد روى الإمام أحمد في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن ما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به**»[1] هذا الحديث أو معناه.

الثانية والعشرون: أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة، وقد جاء أثر معناه أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى إذا أصابته شدة أو سأل الله تعالى حاجة قالت الملائكة: يا رب صوت معروف، من عبد معروف، والغافل المعرض عن الله عز وجل إذا دعاه وسأله قالت الملائكة: يا رب، صوت منكر من عبد منكر.

الثالثة والعشرون: أنه ينجي من عذاب الله تعالى، كما قال معاذ رضي الله عنه ويروى مرفوعاً «**ما عمل آدمى عملاً أنجى له من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى**»[2].

الرابعة والعشرون: أنه سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبر به النبي ﷺ.

الخامسة والعشرون: أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش

---

(١) **حديث صحيح** : رجاله رجال الصحيح إلا بكر بن خلف وقد وثقه أبو حاتم، والحديث أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٥٢)، وأحمد (٤/ ٢٦٨-٢٦٩) من طريق عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير مرفوعاً به.

قلت: ولا يضر تردد عون - أهو عن أبيه أو عن أخيه- لأن كلاهما ثقتان والله أعلم.

(٢) تقدم تخريجه قريباً (ص ٣٨).

والباطل، فإن العبد لابد له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى. والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السادسة والعشرون: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

السابعة والعشرون: أنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أين ما كان، والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته ويشقى به مجالسه.

الثامنة والعشرون: أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة، فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة.

التاسعة والعشرون: أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحشر الأكبر في ظل عرشه، والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل.

الثلاثون: أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطى السائلين، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال سبحانه وتعالى: من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين**»[(١)].

الحادية والثلاثون: أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك.

---

(١) حديث حسن: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢/ ١١٥) وفي «خلق أفعال العباد» (٤٢٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥٧٢) والطبراني في «الدعاء» (١٨٥٠)، من طريق أبي الصهباء عن بكير بن عتيق عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده مرفوعاً به. وضعفه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الضعيفة» (١٣٣٥). من أجل ضرار بن حرد الراوي عن صفوان بن أبي الصهباء عن أبي الصهباء. قلت: وصفوان قال الحافظ في «التقريب»: مقبول. ولكن ضرار متابع عند البيهقي في «الشعب» والطبراني في «الدعاء» عثمان بن زفر ويحيى الحماني، وعثمان قال الحافظ في «التقريب» صدوق. وللحديث شواهد يحسن لها انظر: «تحقيق الاعتقاد» لشيخنا أبي عبد الله أحمد بن أبي العينين. (ص ١٠٦-١٠٧).

الثانية والثلاثون: أنه غراس الجنة، فقد روى الترمذي في جامعه من حديث عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : **«لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا محمد أقْرِئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»**[(١)] قال الترمذي حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود.

وفي الترمذي من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال: **«من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة»**[(٢)]. قال الترمذي حديث حسن صحيح.

الثالثة والثلاثون: أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال، ففي الصحيحين، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»**[(٣)]، **ومن قال: سبحان الله**

---

(١) إسناده ضعيف : أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢١٤) وفي «الأوسط» (٤٣٢٨)، و«الصغير» (ص ١١١)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (٢/ ٢٩٢) من طريق عبد الرحمن ابن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود مرفوعاً به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود.
قلت: وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف الحديث. وأعله أبو حاتم وأبو زرعة بالانقطاع - راجع «علل ابن أبي حاتم» (٢/ ١٧١). لكن للحديث شاهدان انظر تخريجهما في «الصحيحة» للشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - (١/ ٢١٥-٢١٦).

(٢) حديث صحيح : أخرجه الترمذي (٣٤٦٤)، (٣٤٦٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٢٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» وابن حبان كما في «الإحسان» (٢٣٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠١) من طريق أبي الزبير عن جابر مرفوعاً به.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.
قلت: أبو الزبير مدلس وقد عنعنه، لكن للحديث جملة شواهد عن جماعة من الصحابة يصح بها. والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١/ ١٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٦٧١٦)، وأحمد (٢/ ٣٠٢، ٣٧٥)، والترمذي (٣٤٦٨)، وابن ماجه (٣٧٩٨).

وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[١]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»[٢].

وفي الترمذي من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح أو يمسى: اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك، أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعاً أعتقه الله تعالى من النار»[٣]. وفيه عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يمسى وإذا أصبح: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، كان حقاً على الله أن يرضيه»[٤] وفي الترمذي: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب له الله ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٥٠١). وأبو داود (٥٠٧٨)، والبخاري في «الأدب» (١٢٠١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩، ١٠)، والطبراني في «الدعاء» (٢٩٧)، وفي «مسند الشاميين» (١٥٤٢). وسنده ضعيف من أجل مسلم بن زياد وهو مجهول وبقية بن الوليد وهو مدلس تدليس تسوية.

(٤) حديث حسن: أخرجه الترمذي (٣٣٨٩)، والطبراني في «الدعاء» (٣٠٤)، من طريق سعيد بن المرزبان عن أبي سلمة عن ثوبان مرفوعاً به. وسنده ضعيف: سعيد بن المرزبان ضعيف ومدلس كما في «التقريب» (١/ ٣٠٥) والحديث حسنه الترمذي، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري. أخرجه مسلم (٦/ ٣٧) وأبو داود (١٥٢٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥)، وابن حبان (٢٣٦٨)، والنسائي (٢/ ٥٧)، وأحمد (٣/ ١٤)، والبيهقي (٩/ ١٥٨)، وأبو عوانة (٥/ ٤٨). وله شاهد ثان من حديث المنذر. وله شاهد ثالث من حديث عن رجل من الصحابة وفي سنده سابق بن ناجية قال في التقريب: مقبول. أخرجه الحاكم (١/ ٥٨١)، وأبو داود (٥٠٧٢).

(٥) منكر: أخرجه الترمذي (٣٤٢٩)، والحاكم (١/ ٥٣٨). وفي إسناده عمرو بن دينار وهو قهرمان آل الزبير وهو ضعيف، وقد روى موقوفاً، ويحيى بن سليم الطائفي في حفظه ضعف وعمران بن مسلم قال البخاري: منكر الحديث، وهذا إشارة إلى أنه لا يحل الرواية عنه. وللحديث طريق آخر عند الحاكم (١/ ٥٣٨). عن عمر وهي ضعيفة جداً.

الرابعة والثلاثون: أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (الحشر:١٩)، وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت وفسدت ولابد، كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره وضيع مصالحه فإنه يفسد ولابد، هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها واشتغل عن مصالحها وعطل مراعاتها وترك القيام عليه بما يصلحها، فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان، وهذا هو الذي صار أمره كله فرطاً فانفرط عليه أمره وضاعت مصالحه، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك، ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى واللهج به، وأن لا يزال اللسان رطباً به، وأن يتولى منـزلة حياته التي لا غنى له عنها ومنـزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك، وبمنزلة الماء عند شدة العطش، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد، وبمنزلة الكن في شدة الشتاء والسموم.

فحقيق بالعبد أن ينزل ذكر الله منه بهذه المنـزلة وأعظم، فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده؟ هذا هلاك لابد منه وقد يعقبه صلاح لابد، وأما هلاك القلب والروح فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها لكفى بها. فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا ونسيه في العذاب يوم القيامة. قَالَ تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ (طه:١٢٤-١٢٦).

أي تنسى في العذاب كما نسيت آياتي فلم تذكرها ولم تعمل بها، وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذي أنزله، وهو أن يذكر الذي أنزله في كتابه وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه وأسمائه وصفاته وأوامره وآلائه ونعمه، فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى، فإن الذكر في الآية إما مصدر مضاف إلى

الفعل أو مضاف إضافة الأسماء المحضة، أعرض عن كتابي ولم يتله ولم يتدبره ولم يعمل به ولا فهمه، فإن حياته ومعيشته لا تكون إلا مضيقة عليه منكدة معذباً فيها.

والضنك: الضيق والشدة والبلاء، ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة، وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصحيح أنها تتناول معيشته في الدنيا وحاله في البرزخ، فإنه يكون في ضنك في الدارين، وهو شدة وجهد وضيق، وفي الآخرة تنسى في العذاب، وهذا عكس أهل السعادة والفلاح فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة ولهم في البرزخ و في الآخرة أفضل الثواب.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ (النحل:٩٧)، فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧)، فهذا في البرزخ والآخرة، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤١)، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ (هود:٣)، فهذا في الآخرة، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠).

فهذه أربعة مواضع ذكر تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة، فالإحسان له جزاء معجل ولابد، والإساءة لها جزاء معجل ولابد، ولو لم يكن إلا ما يجازى به المحسن من انشراح صدره في انفساح قلبه وسروره ولذاته بمعاملة ربه عز وجل وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته وذكره وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه، وما يجازى به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازته وغمه وهمه وحزنه وخوفه، وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة، والإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضاء به وعنه وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: إن في الدنيا جنة من لم

يدخلها لا يدخل جنة الآخرة وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا، وكان يقول في سجوده وهو محبوس «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله» وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه، ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ (الحديد:١٣) وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها، وكان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف، قال آخر: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره، أو نحو هذا، وقال آخر: إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً، وقال آخر: إنه لتمر بي أوقات أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين، وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، وإنما يصدق هذا من في قلبه حياة، وأما ميت القلب فيوحشك ماله ثمَّ، فاستأنس بغيته ما أمكنك، فإنك لا يوحشك إلا حضوره عندك، فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك، وترحل عنه بقلبك، وفارقه بسرك، ولا تشغل به عما هو أولى بك.

واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لا يجر عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل، وانقطاعك عنه، وضياع وقتك عليك، وضعف عزيمتك، وتفرق همك. فإذا بليت بهذا -ولابد لك منه- فعامل الله تعالى فيه واحتسب عليه ما أمكنك، وتقرب إلى الله تعالى بمرضاته فيه، واجعل اجتماعك به متجراً لك لا تجعله خسارة، وكن معه كرجل سائر في طريقه عرض له رجل وقفه عن سيره، فاجتهد أن تأخذه معك وتسير به فتحمله ولا يحملك، فإن أبى ولم يكن في سيره مطمع فلا تقف معه بل اركب ركب الدرب، ودعه ولا تلتفت إليه فإنه قاطع الطريق ولو كان من كان، فانج بقلبك، وضن بيومك وليلتك، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنـزلة فتؤخذ أو يطلع الفجر وأنت في المنزلة فتسير الرفاق فتصبح وحدك وأنى لك بلحاقهم.

الخامسة والثلاثون: أن الذكر يسير العبد وهو في فراشه وفي سوقه وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله حتى أنه يسير العبد وهو نائم على فراشه فيسبق القائم مع الغفلة، فيصبح هذا (النائم) وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه، ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقة الركب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وحكى عن رجل من العباد أنه نزل برجل ضيفًا فقام العابد ليله يصلي وذلك الرجل مستلق على فراشه، فلما أصبحا قال له العابد: سبقك الركب، أو كما قال، فقال: ليس الشأن فيمن بات مسافراً وأصبح مع الركب، الشأن فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب، وهذا ونحوه له محمل صحيح ومحمل فاسد، فمن حكم على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت فهو باطل، وإنما محمله أن هذا المستلقي على فراشه علق قلبه بربه عز وجل، وألصق حبه قلبه بالعرش وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة قد غاب عن الدنيا ومن فيها، وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجع أو برد يمنعه القيام أو خوف على نفسه من رؤية عدو يطلبه أو غير ذلك من الأعذار، فهو مستلق على فراشه وفي قلبه ما الله تعالى به عليم، وآخر قائم يصلي ويتلو وفي قلبه من الرياء والعجب وطلب الجاه والمحمدة عند الناس ما الله به عليم، أو قلبه في واد وجسمه في واد، فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة، فالعمل على القلوب لا على الأبدان، والمعول على الساكن لا على الأطلال، والاعتبار بالمحرك الأول، فالذكر يثير العزم الساكن ويهيج الحب المتوارى، ويبعث الطلب الميت.

السادسة والثلاثون: أن الذكر نور للذاكر في الدنيا ونور له في قبره، ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام:١٢٢)، فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره، والآخر هو الغافل عن الله تعالى، المعرض عن ذكره ومحبته، والشأن كل الشأن والفلاح كل الفلاح في النور، والشقاء كل الشقاء في فواته، ولهذا كان النبي ﷺ يبالغ في سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعله في لحمه وعظامه وعصبه وشعره وبشره وسمعه وبصره ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وخلفه وأمامه، حتى يقول «**واجعلني نوراً**»[١] فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور في ذراته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطاً به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجملته نوراً، فدين الله عز وجل نور، وكتابه نور، ورسوله نور، وداره التي أعدها لأوليائه نور يتلألأ، وهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض، ومن أسمائه النور، وأشرقت الظلمات لنور وجهه، وفي دعاء النبي ﷺ يوم الطائف: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك، أو ينـزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[٢].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السماوات من نور وجهه، ذكره عثمان الدارمي وقد قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ (الزمر:٦٩) فإذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده وأشرقت بنوره الأرض، وليس إشراقها يومئذ بشمس ولا قمر، فإن الشمس تكور والقمر يخسف ويذهب نورهما، وحجابه تبارك وتعالى النور.

قال أبو موسى: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[٣] ثم قرأ:

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣) من حديث ابن عباس مرفوعاً به.
(٢) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٤١٩)، والحديث مرسل، وهو عند الطبراني في «الكبير» عن ابن جعفر.
(٣) **حديث صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٩) وغيره من طريق أبي عبيدة عن أبي موسى مرفوعاً به.

﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (النمل:٨). فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه ولولاه لأحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره.

ولهذا لما تجلى تبارك وتعالى للجبل وكشف من الحجاب شيئاً يسيراً ساخ الجبل في الأرض وتدكدك ولم يقم لربه تبارك وتعالى، وهذا معنى قول ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (الأنعام:١٠٣) قال: ذلك الله عز و جل، إذا تجلى بنوره لم يقم له شيء. وهذا من بديع فهمه رضي الله تعالى عنه ودقيق فطنته، كيف لا وقد دعا له رسول الله ﷺ أن يعلمه الله التأويل، فالرب تبارك وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً، ولكن يستحيل إدراك الأبصار له وإن رأته فالإدراك أمر وراء الرؤية، وهذه الشمس -ولله المثل الأعلى- نراها ولا ندركها كما هي عليه ولا قريباً من ذلك، ولذلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فقال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى. قال: أفتدركها؟ قال: لا. قال: فالله تعالى أعظم وأجل.

وقد ضرب سبحانه وتعالى النور في قلب عبده مثلاً لا يعقله إلا العالمون فقال سبحانه وتعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور:٣٥).

قال أبيّ بن كعب: «مثل نوره في قلب المسلم»، وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصله في قلوبهم ثم تقوى مادته فتتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم، يبصره من هو من جنسهم وسائر الخلق له منكر، فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بأيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا، فمنهم من نوره كالشمس وآخر كالقمر وآخر كالنجوم وآخر كالسراج وآخر يعطى نوراً على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ أخرى، وإذا كانت هذه حال نوره في الدنيا فأعطى على الجسر بمقدار ذلك، بل هو نفس نوره ظهر له عيانًا.

ولما لم يكن للمنافق نور ثابت في الدنيا بل كان نوره ظاهراً لا باطناً أعطى نوراً ظاهراً مآله إلى الظلمة والذهاب. وضرب الله عز وجل لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة وهى الكوة في الحائط فهي مثل الصدر، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج وحتى شبهت بالكوكب الدري في بياضه وصفائه وهى مثل القلب، وشبه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافاً هى في قلب المؤمن وهى الصفاء والرقة والصلابة، فيرى الحق والهدى بصفائه، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته، ويجاهد أعداء الله تعالى ويغلظ ويشتد في الحق ويصلب فيه بصلابته، ولا تبطل صفة منه صفة أخرى، ولا تعارضها، بل تساعدها وتعاضدها ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح:٢٩)، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩). وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة:٧٣). وفي أثر: «القلوب آنية الله تعالى في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها».

وبإزاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي نقيض: أحدهما قلب حجري قاس لا رحمة فيه ولا إحسان ولا بر، ولا له صفاء يرى به الحق، بل هو جبار جاهل: لا علم له بالحق ولا رحمة للخلق، وبإزائه قلب ضعيف مائى لا قوة فيه ولا استمساك، بل يقبل كل صورة، وليس له قوة حفظ تلك الصور ولا قوة التأثير في غيره وكل ما خالطه أثر فيه من قوى وضعيف، وطيب وخبيث، وفي الزجاجة مصباح، هو النور الذي في الفتيلة، وهي حاملته، ولذلك النور مادة، وهو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر، حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح.

وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن هو من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة وأبعدها من الانحراف، بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها، لم تنحرف انحراف النصرانية ولا انحراف اليهودية، بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن، ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضيء بنفسه، ثم خالط النار فاشتدت بها إضاءته وقويت مادة ضوء النار به، كان ذلك نوراً على نور، وهكذا المؤمن قلبه مضيء يكاد يعرف الحق

بفطرته وعقله ولكن لا مادة له من نفسه، فجاءت مادة الوحى فباشرت قلبه وخالطت بشاشته فازداد نوراً بالوحى على نوره الذي فطره الله تعالى عليه، فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة، نور على نور، فيكاد ينطق بالحق وإن لم يسمع فيه أثراً، ثم يسمع الأثر مطابقاً لما شهدت به فطرته فيكون نوراً على نور، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملاً ثم يسمع الأثر جاء به مفصلاً، فينشأ إيهانه عن شهادة الوحي والفطرة، فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ومطابقتها لهذه المعانى الشريفة، فذكر سبحانه وتعالى نوره في السموات والأرض، ونوره في قلوب عباده المؤمنين، النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب، والنور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار العالم العلوى والسفلى، فهما نوران عظيهان أحدهما أعظم من الآخر، وكما أنه إذا فقد أحدهما من مكان أو موضع لم يعش فيه آدمى ولا غيره، لأن الحيوان إنما يتكون حيث النور، ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان ولا يتكون البتة، فكذلك أمة فقد فيها نور الوحى والإيهان، وقلب فقد منه هذا النور ميت ولابد، لا حياة له البتة كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه.

« الحيـاة ـ والنـور »

والله سبحانه وتعالى يقرن بين الحياة والنور كما في قوله عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام:١٢٢)، وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (الشورى:٥٢)، وقد قيل إن الضمير في «جعلناه» عائد إلى الأمر، وقيل إلى الكتاب، وقيل إلى الإيمان، والصواب أنه عائد إلى الروح أي جعلنا ذلك الروح الذي أوحيناه إليك نوراً، فسماه روحاً لما يحصل به من الحياة وجعله نوراً لما يحصل به من الإشراق والإضاءة، وهما متلازمان فحيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح وجدت الإضاءة والاستنارة، وحيث وجدت الاستنارة والإضاءة وجدت الحياة، فمن لم يقبل قلبه هذا الروح فهو ميت مظلم، كما أن من فارق بدنه روح الحياة فهو هالك مضمحل، فلهذا يضرب سبحانه وتعالى المثلين: المائي، والناري معاً، لما يحصل بالماء من الحياة وبالنار من الإشراق والنور، كما ضرب ذلك في أول سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ

كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة:١٧)، وقال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل بنارهم لأن النار فيها الإحراق والإشراق، فذهب بما فيه الإضاءة والإشراق، وأبقى عليهم ما فيه الأذى والإحراق.

وكذلك حال المنافقين: ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم، وقلوبهم قد صليت بحرها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة ناراً موقدة تطلع على الأفئدة.

فهذا مثل من لم يصحبه نور الإيمان في الدنيا، بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به، وهو حال المنافق عرف ثم أنكر، وأقر ثم جحد، فهو في ظلمات أصم أبكم أعمى كما قال تعالى في حق إخوانهم من الكفار ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ (الأنعام:٣٩)، وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:١٧١)، وشبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله، لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم وصيامهم معهم وسماعهم القرآن ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عياناً، ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة:١٨) إليه، لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا فهم لا يرجعون إليه، وقال تعالى في حق الكفار: ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لأنهم لم يعقلوا الإسلام ولا دخلوا فيه ولا استناروا به بل لا يزالون في ظلمات الكفر، صم بكم عمى.

فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافياً، وإلى الإيمان وحقائقه منادياً، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعياً، وإلى طريق الرشاد هادياً، لقد أسمع منادى الإيمان لو صادف آذاناً واعية، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوباً من غيها خالية، ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها أيدى الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام، وسكرت بشهوات الغي وشهادة الباطل فلم تصغ بعده إلى الملام، ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنة والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة وأسر الهوى والشهوة، و«ما لجرح بميت إيلام».

والمثل الثاني المائي: قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:١٩) الصيب: المطر الذي يصوب من السماء أي ينـزل منها بسرعة وهو مثل القرآن الذي به حياة القلوب كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، فأدرك المؤمنين ذلك منه وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لا خطر لها، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلات التي حذر الله بها من خالف أمره، وأخبر أنه منـزلها بمن كذب رسول الله ﷺ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة، كجهاد الأعداء والصبر على الأمر أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي بخلاف إرادتها فهي كالظلمات والرعد والبرق، ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق، بل يستأنس لذلك ويفرح به لما يرجو من الحياة والخصب، وأما المنافق فإنه لعمي قلبه لم يجاوز بصره الظلمة ولم ير إلا برقاً يكاد يخطف البصر، ورعداً عظيماً وظلمة، فاستوحش من ذلك وخاف منه، فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد، وهاله مشاهدة ذلك البرق وشدة لمعانه وعظم نوره فهو خائف أن يختطف معه بصره، لأن بصره أضعف من أن يثبت معه، فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف، ويرى ذلك البرق الخاطف، فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه، وإن فقد الضوء قام متحيراً لا يدرى أين يذهب، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذي به حياة الأرض والنبات وحياته هو في نفسه، بل لا يدرك إلا رعداً وبرقاً وظلمة ولا شعور له بما وراء ذلك، فالوحشة لازمة له، والرعب والفزع لا يفارقه، وأما من أنس بالصيب وعلم أنه لابد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم، استأنس بذلك ولم يستوحش منه، ولم يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيب.

فهذا مثل مطابق للصيب الذي نزل به جبريل ﷺ من عند رب العالمين تبارك وتعالى على قلب رسول الله ﷺ ليحيي به القلوب والوجود أجمع، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيب من الماء، حكمة بالغة وأسباباً منتظمة نظمها العزيز الحكيم، فكان حظ المنافق من ذلك الصيب سحابة ورعودة وبروقة فقط، لم يعلم ما وراءه فاستوحش بما أنس به المؤمنون، وارتاب بما اطمأن به العالمون، وشك

فيما تيقنه المبصرون العارفون، فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش نحو الظهيرة، وسمعه في المثل المائى كسمع من يموت من صوت الرعد وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من سمع الرعد.

وإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية، وخيالات فاسدة، وظنون كاذبة، جالت فيها وصالت، وقامت بها وقعدت واتسع فيها مجالها، وكثر بها قيلها وقالها، فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دواوينها، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم والقائمين بدعوتهم والمحامين عن حوزتهم والمقاتلين تحت ألويتهم والمكثرين لسوادهم ولعموم البلية بهم وضرر القلوب بكلامهم هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهتك، وكشف أسرارهم غاية الكشف، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم، ولم يزل عز وجل يقول: ﴿وَمِنْهُم ... وَمِنْهُم ... وَمِنْهُم﴾ حتى انكشف أمرهم، وبانت حقائقهم وظهرت أسرارهم.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آيات، وفي أوصاف الكفار آيتين وفي أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية، لعموم الابتلاء بهم وشدة المصيبة بمخالطتهم، فإنهم من الجلدة، مظهرون الموافقة والمناصرة، بخلاف الكافر الذي قد تأبد بالعداوة وأظهر السريرة ودعاك بما أظهره إلى مزايلته ومفارقته.

ونظير هذين المثلين المثلان المذكوران في سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ (الرعد:١٧).

فهذا هو المثل المائي، شبه الوحي الذي أنزله بحياة القلوب بالماء الذي أنزله من السماء، وشبه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل، فقلب كبير يسع علماً عظيماً كواد كبير يسع ماء كثيراً، وقلب صغير كواد صغير يسع علماً قليلاً، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها، كما سالت الأودية بقدرها، ولما كانت الأودية ومجارى السيول فيها الغثاء ونحوه مما يمر عليه السيل فيحتمله السيل فيطفو على وجه الماء زبداً عالياً، ويمر عليه متراكباً ولكن تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض، فيقذف الوادى ذلك الغثاء إلى جنبتيه حتى لا يبقى منه شيء، ويبقى الماء الذي تحت الغثاء يسقى الله تعالى به

الأرض فيحيى به البلاد والعباد والشجر والدواب، والغثاء يذهب جفاء يخفي ويطرح على شفير الوادي، فكذلك العلم والإيمان الذي أنزله في القلوب فاحتملته فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة يطفو في أعلاها، واستقر العلم والإيمان والهدى في جذر القلب فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاء ويزول شيئاً فشيئاً حتى يزول كله، ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص في جذر القلب يرده الناس فيشربون ويسقون ويمرعون.

وفي الصحيح من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»[1].

« تقسيم الهدى »

فجعل النبي ﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوة إلى الله عز وجل ورسوله ﷺ فهؤلاء أتباع الرسل - صلوات الله عليهم وسلامه -حقاً، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها، وزكا الناس بها. وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ (ص:٤٥) أي البصائر في دين الله عز وجل، فبالبصائر يدرك الحق ويعرف، وبالقوى يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه، فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم في الدين والبصر بالتأويل، ففجرت من النصوص أنهار العلوم واستنبطت منها كنوزها ورزقت فيها فهماً خاصاً، كما قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب - وقد سئل:

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

هل خصكم رَسُولُ الله ﷺ بشيء دون الناس؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة. إلا فهما يؤتيه الله عبداً في كتابه[1]. فهذا الفهم هو بمنـزلة الكلأ والعشب الكثير الذي أنبتته الأرض، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن **(الطبقة الثانية)** فإنها حفظت النصوص وكان همها حفظها وضبطها، فوردها الناس وتلقوها منهم، فاستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها وبذروها في أرض قابلة للزرع والنبات ووردوها كل بحسبه ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ (البقرة:٦٠)، وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي ﷺ : «**نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها كما سمعها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»[2].

وهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن مقدار ما سمع من النبى ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثاً الذي يقول فيه: «سمعت، ورأيت» وسمع الكثير من الصحابة وبورك في فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علماً وفقهاً.

قال أبو محمد بن حزم: وجمعت فتاويه في سبعة أسفار كبار، وهي بحسب ما بلغ جامعها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمع كما سمعوا، وحفظ القرآن كما حفظوا، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع، فبذر فيها النصوص فأنبتت من كل زوج كريم: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الحديد:٢١). وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟ وأبو هريرة أحفظ منه، بل هو حافظ الأمة على الإطلاق، يؤدى الحديث كما سمعه، ويدرسه بالليل درساً، فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه. وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأنهار منها، واستخراج كنوزها.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨).

(٢) حديث صحيح : رواه الترمذي (٢٦٥٧)، (٢٦٥٨)، وابن ماجه (٢٣٢)، وأحمد (١/ ٤٣٧)، والحميدي (٨٨)، والشافعي في «المسند» (١٦)، وفي «الرسالة» (١١٠٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٣١)، والخطيب في «الكفاية» (ص ٢٨-٢٩) من طريق سماك بن حرب عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود عن ابن مسعود مرفوعاً به، وسماك حسن الحديث. وعبد الرحمن سمع من أبيه على الراجح، وللحديث طرق أخرى عن جماعة من الصحابة منهم: زيد بن ثابت وعمير بن قتادة، وسعد بن أبي وقاص، ومعاذ بن جبل، وأنس وجابر، وأبو قرصافة، وأبو مسعود الأنصاري، وجبير بن مطعم.

وهكذا الناس بعده قسمان:

قسم حفاظ: معتنون بالضبط والحفظ والأداء كما سمعوا، ولا يستنبطون. ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه.

وقسم معتنون بالاستنباط: واستخراج الأحكام من النصوص. والتفقه فيها.

فالأول: كأبى زرعة وأبى حاتم وابن وارة، وقبلهم كبندار محمد بن بشار وعمرو الناقد وعبد الرزاق، وقبلهم كمحمد بن جعفر غندر وسعيد بن أبى عروبة وغيرهم من أهل الحفظ والإتقان والضبط لما سمعوه، من غير استنباط وتصرف واستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص.

والقسم الثاني: كمالك والشافعي والأوزاعى وإسحق والإمام أحمد بن حنبل والبخارى وأبى داود ومحمد بن نصر المروزى - وأمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية - فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ ، وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأساً.

وأما الطائفة الثالثة: وهم أشقى الخلق الذين لم يقبلوا هدى الله ولم يرفعوا به رأساً، فلا حفظ ولا فهم ولا رواية ولا دراية ولا رعاية.

فالطبقة الأولى: أهل رواية ودراية.

والطبقة الثانية: أهل رواية ورعاية ولهم نصيب من الدراية، بل حظهم من الرواية أوفر.

والطبقة الثالثة: الأشقياء لا رواية ولا دراية ولا رعاية﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان:٤٤)، فهم الذين يضيقون الديار، ويغلون الأسعار، إن همة أحدهم إلا بطنه وفرجه، فإن ترقت همته كان همه - مع ذلك - لباسه وزينته، فإن ترقت همته فوق ذلك كان همه في الرياسة والانتصار للنفس الكلبية، فإن ارتفعت همته عن نصرة النفس الكلبية كان همه في نصرة النفس السبعية وأما النفس الملكية فلم يعطها أحد من هؤلاء فإن النفوس كلبية وسبعية وملكية، فالكلبية تقنع بالعظم والكسرة والجيفة والعذرة، والسبعية لا تقنع بذلك بل بقهر النفوس، تريد الاستعلاء عليها بالحق والباطل، وأما الملكية فقد

ارتفعت عن ذلك وشمرت إلى الرفيق الأعلى، فهمتها العلم والإيمان ومحبة الله تعالى والإنابة إليه والطمأنينة به والسكون إليه وإيثار محبته ومرضاته، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربها ووليها، لا لتنقطع به عنه.

ثم ضرب سبحانه وتعالى مثلا ثانياً وهو المثل الناري، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ (الرعد:١٧) وهذا كالحديد والنحاس والفضة والذهب وغيرها، فإنها تدخل الكير لتمحص وتخلص من الخبث، فيخرج خبثها فيرمى به ويطرح، ويبقى خالصها فهو الذي ينفع الناس.

ولما ضرب الله سبحانه وتعالى هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ورفع بهداه رأساً، وحكم من لم يستجب له ولم يرفع بهداه رأساً، فقال: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (الرعد:١٨) والمقصود أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور، والموت حيث الظلمة، فحياة الموجودين الروحى والجسمى بالنور، وهو مادة الحياة كما أنه مادة الإضاءة، فلا حياة بدونه كما لا إضاءة بدونه، وكما أنه به حياة القلب فيه انفساحه وانشراحه وسعته، كما في الترمذى عن النبى ﷺ : «**إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح، قالوا: وما علامة ذلك؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافى عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله**»(١) ونور العبد هو الذي يصعد عمله وكلمه إلى الله تعالى، فإن الله تعالى لا يصعد إليه من الكلم إلا الطيب، وهو نور ومصدر عن النور، ولا من العمل إلا الصالح، ولا من الأرواح إلا الطيبة وهي أرواح المؤمنين التي استنارت بالنور الذي أنزله على رسوله ﷺ والملائكة الذين خلقوا من نور، كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: «**خلقت الملائكة من نور، وخلقت الشياطين من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»(٢) فلما كانت مادة الملائكة من نور كانوا هم الذين يعرجون إلى ربهم تبارك وتعالى،

---

(١) إسناده ضعيف : فيه ابن سنان القزاز وهو ضعيف.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٦)، وابن منده في «التوحيد» (١/ ٣٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٧٧)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (٦٢)، وابن حبان (٦١٢٢)، من طريق الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة مرفوعاً به.

وكذلك أرواح المؤمنين هي التي تعرج إلى ربها وقت قبض الملائكة لها، فيفتح لها باب السماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة إلى أن ينتهي بها إلى السماء السابعة، فتوقف بين يدى الله عز وجل، ثم يأمر أن يكتب كتابه في أهل عليين، فلما كانت هذه الروح روحاً زاكيةً طيبةً نيرة مشرقة صعدت إلى الله عز وجل مع الملائكة، وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة فإنها لا تفتح لها أبواب السماء ولا تصعد إلى الله تعالى، بل ترد من السماء الدنيا إلى عالمها ومحتدها، لأنها أرضية سفلية، والأولى علوية سمائية، فرجعت كل روح إلى عنصرها وما هى منه، وهذا مبين في حديث البراء بن عازب الطويل الذى رواه الإمام أحمد وأبو عوانة الاسفرائيني في صحيحه والحاكم وغيرهم، وهو حديث صحيح[1].

والمقصود أن الله عز وجل لا يصعد إليه من الأعمال والأقوال والأرواح إلا ما كان منها نوراً، وأعظم الخلق نوراً أقربهم إليه وأكرمهم عليه، وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ: «**إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة، وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله تعالى**»[2] وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الإيمان، وينفتح به باب عظيم من أبواب سر القدر وحكمته، والله تعالى الموفق.

وهذا النور الذى ألقاه عليهم سبحانه وتعالى هو الذى أحياهم وهداهم، فأصابت الفطرة منه حظها، ولكن لما لم يستقل بتمامه وكماله أكمله لهم وأتمه بالروح الذى ألقاه على رسله عليهم الصلاة والسلام والنور الذى أوحاه إليهم فأدركته الفطرة بذلك النور السابق الذى حصل لها يوم إلقاء النور، فانضاف نور الوحى والنبوة إلى نور

---

(١) حديث حسن : أخرجه أبو داود (٣٢١٢)، (٤٧٥٣)، (٤٧٥٤)، وأحمد (٤/ ٢٨٧-٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧)، وابنه في «زوائده على المسند» (٤/ ٢٩٦)، وفي «السنة» (١٤٣٨)، والنسائي في «الكبرى» (٢١٢٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٦٧٣٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٢٥٦-٢٥٧)، والحاكم (١/ ٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٣٩٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٥١٢)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢١٤٠) من طريق المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء مرفوعاً. بعضهم مطولاً وبعضهم مختصراً.

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد (٢/ ١٧٦، ١٩٧)، والترمذي (٢٦٤٢) وابن حبان (١٨١٢)، والآجري في «الشريعة» (ص ١٧٥)، والحاكم (١/ ٣٠)، من طريق عبد الله بن فيروز بن الديلمي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً. وسنده صحيح.

الفطرة، نور على نور، فأشرقت منه القلوب، واستنارت به الوجوه، وحييت به الأرواح، وأذعنت به الجوارح للطاعات طوعاً واختياراً، فازدادت به القلوب حياة إلى حياتها، ثم دلها ذلك النور على نور آخر هو أعظم منه وأجل، وهو نور الصفات العليا الذي يضمحل فيه كل نور سواه، فشاهدته ببصائر الإيمان مشاهدة نسبتها إلى القلب نسبة المرئيات إلى العين، ذلك لاستيلاء اليقين عليها، وانكشاف حقائق الإيمان لها، حتى كأنها تنظر إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى بارزاً، وإلى استوائه عليه كما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه، وكما أخبر به عنه رسوله ﷺ ، يدبر أمر الممالك ويأمر وينهى، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقضي وينفذ، ويعز ويذل ويقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول فيذهب بدولة ويأتي بأخرى، والرسل من الملائكة عليهم الصلاة والسلام بين صاعد إليه بالأمر ونازل من عنده به، وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الآيات، نافذ بحسب إرادته، فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان ولا تقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافذ في السموات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذراته، يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء، وقد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمة وحكمة، ووسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على كثرة حاجاتها، لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بإلحاح ذوي الحاجات، وأحاط بصره بجميع المرئيات فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من السر، فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفتاه وأخفى منه ما لم يخطر بعد فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا، له الخلق والأمر، وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، له الملك كله وله الحمد كله، وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله، شملت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، ووسعت نعمته إلى كل حي ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ (الرحمن:٢٩) يغفر ذنباً، ويفرج هماً، ويكشف كرباً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويعلم جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويرشد حيران، ويغيث

لهفان، ويفك عانياً، ويشبع جائعاً، ويكسو عاريًا ويشفي مريضاً، ويعافي مبتلى، ويقبل تائباً، ويجزى محسناً، وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن من روعة، ويرفع أقواماً ويضع آخرين، ولا ينام ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور: لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، يمينه ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار.

أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يغض ما في يمينه، قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمة الأمور معقودة بقضائه وقدره، الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، يقبض سمواته كلها بيده الكريمة والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئًا، وأنا الذي أعيدها كما بدأتها، لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا حاجة يسألها أن يعطيها، لو أن أهل سمواته وأهل أرضه وأول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، ولو أن أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئاً، ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه وإنسهم وجنهم وحيهم وميتهم ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كلاً منهم ما سأله ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة، ولو أن أشجار الأرض كلها - من حين وجدت إلى أن تنقضى الدنيا - أقلام، والبحر وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد لفنيت الأقلام ونفد المداد ولم تنفد كلمات الخالق تبارك وتعالى، وكيف تفنى كلماته جل جلاله وهى لا بداية لها ولا نهاية، والمخلوق له بداية ونهاية فهو أحق بالفناء والنفاد؟ وكيف يفنى المخلوق، غير المخلوق؟ وهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء تبارك وتعالى أحق من ذكر، وأحق من عبد، وأحق من حمد، وأولى من شكر، وأنصر من ابتغى، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، وأعفى من قدر، وأكرم من قصد، وأعدل من انتقم، حلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن عزته، ومنعه عن حكمته، وموالاته عن إحسانه ورحمته.

ما للعباد عليه حقّ واجبٌ ❁ كلا ولا سعيٌ لديه ضائعُ
إن عُذِّبوا، فبعدلِهِ، أو نُعِّموا ❁ فَبِفَضْلِهِ، وهو الكريمُ الواسعُ

هو الملك لا شريك له، والفرد فلا ند له، والغنى فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له، ولا صاحبة له، والعلى فلا شبيه له ولا سمى له، كل شيء هالك إلا وجهه وكل ملك زائل إلا ملكه وكل ظل قالص إلا ظله، وكل فضل منقطع إلا فضله.

لن يطاع إلا بإذنه ورحمته، ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته، يطاع فيشكر، ويعصى فيتجاوز ويغفر، كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ: حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وسجل الآثار، وكتب الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والغيب عنده شهادة، عطاؤه كلام، وعذابه كلام، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس:٨٢)، فإذا أشرقت على القلب أنوار هذه الصفات اضمحل عندها كل نور، ووراء هذا ما لا يخطر بالبال ولا تتناوله عبارة.

والمقصود أن الذكر ينور القلب والوجه والأعضاء، وهو نور العبد في دنياه وفي البرزخ وفي القيامة، وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد تخرج أعماله وأقواله ولها نور وبرهان، حتى أن من المؤمنين من يكون نور أعماله إذا صعدت إلى الله تبارك وتعالى كنور الشمس، وهكذا نور روحه إذا قدم بها على الله عز وجل، وهكذا يكون نوره الساعى بين يديه على الصراط، وهكذا يكون نور وجهه في القيامة، والله تعالى المستعان وعليه الاتكال.

السابعة والثلاثون: أن الذكر رأس الأصول، وطريق عامة الطائفة، ومنشور الولاية، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عز وجل، فليتطهر وليدخل على ربه عز وجل يجد عنده كل ما يريد، فإن وجد ربه عز وجل وجد كل شيء، وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شيء.

الثامنة والثلاثون: أن في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء البتة إلا ذكر الله ﷻ فإذا صار الذكر شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويفنى الفاقة، فيكون صاحبه غنياً بلا مال، عزيزاً بلا عشيرة، مهيباً بلا سلطان، فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقير مع كثرة جدته، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته.

التاسعة والثلاثون: أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع، ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه

وعزمه وإرادته، ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه، ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل، ويفرق أيضاً ما اجتمع على حربه من جند الشيطان، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية، وكلما كان أقوى طلباً لله سبحانه وتعالى وأمثل تعلقاً به وإرادة له كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر، وأما تقريبه البعيد فإنه يقرب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان والأمل، فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها، فحينئذ تصغر في عينه الدنيا وتعظم في قلبه الآخرة، ويبعد القريب إليه وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة، فإن الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا، كلما قربت منه هذه مرحلة بعدت منه هذه مرحلة، ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر.

الأربعون: أن الذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سنته، والقلب إذا كان نائماً فاتته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر وأحيى بقية عمره واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل.

الحادية والأربعون: أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التى شمر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرتها، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام وقاعدته التى ينبني ذلك المقام عليها، كما يبني الحائط على أسه وكما يقوم السقف على حائطه، وذلك أن العبد إن لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير، ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم، فالغفلة نوم القلب أو موته.

الثانية والأربعون: أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ (النحل:١٢٨)، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة:٢٤٩)، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:٦٩)، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة:٤٠)، وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر كما في

الحديث الإلهي: «**أنا مع عبدي ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه**»(١) وفي أثر آخر: «**أهل ذكرى أهل مجالستى، وأهل شكرى أهل زيارتي، وأهل طاعتى أهل كرامتى، وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى: إن تابوا فأنا حبيبهم، فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من المعايب**»، والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء، وهى أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقى، وهى معية لا تدركها العبارة ولا تنالها الصفة وإنما تعلم بالذوق، وهى مزلة أقدام إن لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدث، بين الرب والعبد، بين الخالق والمخلوق، بين العابد والمعبود، وإلا وقع حلول يضاهئ به النصارى، أو اتحاد يضاهئ به القائلين بوحدة الوجود وأن وجود الرب عين وجود هذه الموجودات، بل ليس عندهم رب وعبد، ولا خلق وحق، بل الرب هو العبد والعبد هو الرب والخلق المشبه هو الحق المنزه، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيراً، والمقصود أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة وإلا فإذا استولى عليه سلطان الذكر وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه ولج في باب الحلول والاتحاد ولابد.

الثالثة والأربعون: أن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل، وقد تقدم أن «**من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه حتى يمسى**»، الحديث. وذكر ابن أبى الدنيا عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد قال: قيل لأبى الدرداء: إن رجلا أعتق مائة نسمة، قال: إن مائة نسمة من مال رجل كثير، وأفضل من ذلك إيمان ملزوم بالليل والنهار، أن لا يزال لسان أحدكم رطباً من ذكر الله ﷻ.

وقال ابن مسعود: لأن أسبح الله تعالى تسبيحات أحب إلى من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله ﷻ، وجلس عبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود فقال عبد الله، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحبُّ إلى من أنفق عددهن دنانير في

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٣/ ٤٩٩) تعليقاً، وأحمد (٢/ ٥٤٠)، وابن ماجه (٣٧٩٢)، وابن حبان (٢٣١٦) من حديث أبي هريرة به. وله شاهد عن أبي الدرداء أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٦).

سبيل الله عز وجل، فقال عبد الله بن عمرو: لأن أجد في طريق فأقولهن أحب إلى من أن أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله ﷻ.

وقد تقدم حديث أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الورق والذهب وخير لكم من تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: اذكروا الله»** رواه ابن ماجه والترمذي وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»[(١)].

« الذكر رأس الشكر »

الرابعة والأربعون: أن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره. وذكر البيهقى عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال: رب قد أنعمت على كثيراً، فدلنى على أن أشكرك كثيراً، قال: اذكرنى كثيراً، فإذا ذكرتنى كثيراً فقد شكرتنى كثيراً، وإذا نسيتنى فقد كفرتنى، وقد ذكر البيهقى أيضاً في شعب الإيمان عن عبد الله بن سلام قال: قال موسى عليه السلام: يا رب، ما الشكر الذى ينبغى لك ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن لا يزال لسانك رطباً من ذكرى، قال: يا رب إني أكون على حال أجلك أن أذكرك فيها. قال: وما هى ؟ قال: أكون جنباً أو على الغائط أو إذا بلت فقال: وإن كان، قال: يا رب، فما أقول؟ قال: تقول سبحانك وبحمدك وجنبنى الأذى، وسبحانك وبحمدك فقنى الأذى.

قلت: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه[(٢)]، ولم تستثن حالة من حالة. وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته، وأما في حالة التخلى فلم يكن يشاهده أحد يحكى عنه، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر، وأنه لا يخل به عند قضاء الحاجة

---

(١) **حديث صحيح** : وقد سبق تخريجه.

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخاري (١/ ٤٠٧) تعليقاً، ومسلم (١/ ١٩٤) وأبو داود (١/ ٤)، والترمذي (٩/ ٣٢٥)، وابن ماجه (٣٢٠)، وأحمد (٦/ ٧٠، ١٥٣)، وأبو عوانة في «صحيحه» (١/ ٢١٧)، من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن أبيه عن خالد بن سلمة عن عبد الله البهي عن عروة عن عائشة مرفوعاً. قال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة. قلت: وفي هذا الكلام نظر: لما بينته في غير هذا الموضع.

وبعدها، وكذلك شرع للأمة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم: «**بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا**»(١) وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل فلا ريب أنه لا يكره بالقلب لأنه لابد لقلبه من ذكر، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه، فلو كلف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال كما قال القائل:

يراد من القلب نسيانكم ❁ وتأبى الطباع على الناقل

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة فليس مما شرع لنا ولا ندبنا إليه رسول الله ﷺ ولا نقل عن أحد من الصحابة ﷺ. وقال عبد الله بن أبى الهذيل: إن الله تعالى ليحب أن يذكر في السوق، ويحب أن يذكر على كل حال، إلا على الخلاء ويكفى في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه الحالة وهى من أجل الذكر، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها، واللائق بهذه الحال التقنع بثوب الحياء من الله تعالى وإجلاله وذكر نعمته عليه وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذى له الذى لو بقى فيه لقتله، فالنعمة في تيسير خروجه كالنعمة في التغذى به. وكان على بن أبى طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه وقال: يالها نعمة. لو يعلم الناس قدرها. وكان بعض السلف يقول: الحمد لله الذى أذاقنى لذته، وأبقى في منفعته وأذهب عنى مضرته، وكذلك ذكره حال الجماع ذكر النعمة التى منَّ بها عليه، وهى أجل نعم الدنيا. فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها هاج من قلبه هائج الشكر، فالذكر رأس الشكر.

وقال النبي ﷺ لمعاذ: «**والله يا معاذ إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(٢). فجمع بين الذكر والشكر كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:١٥٢). فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح.

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخاري (٥١٦٥)، ومسلم (١٠/ ٥)، وأبو داود (٢١٦١)، والترمذي (١٠٩٢)، وابن ماجه (١٩١٩)، والنسائي في «عشرة النساء» (ص ٥٥) عن ابن عباس مرفوعاً.

(٢) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (١٥٠٨)، والنسائي (٣/ ٥٣) من طريق حيوة بن شريح عن عقبة عن عبد الرحمن الحلبي عن الصناجي عن معاذ به.
قلت: هذا سند صحيح رجاله رجال الصحيح إلا عقبة بن مسلم وقد وثقه يعقوب بن سفيان كما في التهذيب.

الخامسة والأربعون: أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطباً بذكره، فإنه اتقاه في أمره ونهيه وجعل ذكره شعاره، فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار، وهذا هو الثواب والأجر، والذكر يوجب له القرب من الله عز وجل والزلفى لديه، وهذه هي المنـزلة.

وعمال الآخرة على قسمين: منهم من يعمل على الأجر والثواب، ومنهم من يعمل على المنـزلة والدرجة، فهو ينافس غيره في الوسيلة والمنزلة عند الله تعالى ويسابق إلى القرب منه، وقد ذكر الله تعالى النوعين في سورة الحديد في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد:١٨) فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ (الحديد:١٩)، فهؤلاء أصحاب المنزلة والقرب ثم قال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد:١٩) فقيل هذا عطف على الخبر من ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾ أخبر عنهم بأنهم هم الصديقون وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الأمم، ثم أخبر عنهم أن لهم أجراً وهو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور: أنهم صديقون وشهداء. فهذه هي المرتبة والمنزلة، قيل: ثم الكلام عند قوله تعالى: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ ثم ذكر بعد ذلك حال الشهداء فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ فيكون قد ذكر المتصدقين أهل البر والإحسان ثم المؤمنين الذين قد رسخ الإيمان في قلوبهم وامتلؤوا منه، فهم الصديقون وهم أهل العلم والعمل، والأولون أهل البر والإحسان، ولكن هؤلاء أكمل صديقية منهم. ثم ذكر الشهداء وأنه تعالى يجرى عليهم رزقهم ونورهم لأنهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى أثابهم الله تعالى عليها أن جعلهم أحياء عنده يرزقون فيجرى عليهم رزقهم ونورهم فهؤلاء السعداء ثم ذكر الأشقياء فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ (الحديد:١٩).

والمقصود أنه سبحانه وتعالى ذكر أصحاب الأجور والمراتب، وهذان الأمران هما اللذان وعدهما فرعون السحرة إن غلبوا موسى عليه الصلاة والسلام فقالوا: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ (الأعراف:١١٣، ١١٤) أي أجمع لكم بين الأجر والمنـزلة عندى والقرب منى، فالعمال عملوا على الأجور،

والعارفون عملوا على المراتب والمنـزلة والزلفى عند الله. وأعمال هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك، وأعمال أولئك البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء. وذكر البيهقى عن محمد بن كعب القرظى -رحمه الله تعالى- قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أى خلقك أكرم عليك؟ قال: الذى لا يزال لسانه رطباً بذكرى، قال: يا رب، فأى خلقك أعلم؟ قال: الذى يلتمس إلى علمه علم غيره، قال: يا رب، أى خلقك أعدل؟ قال: الذي يقضى على نفسه كما يقضى على الناس، قال: يا رب، أي خلقك أعظم ذنباً؟ قال: الذي يتهمنى. قال: يا رب، وهل يتهمك أحد؟ قال: الذي يستخيرني ولا يرضى بقضائى.

وذكر أيضًا عن ابن عباس قال: لما وفد موسى عليه السلام إلى طور سيناء قال: يا رب، أى عبادك أحب إليك ؟ قال: الذي يذكرنى ولا ينساني، وقال كعب: قال موسى عليه السلام: يا رب، أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ فقال تعالى: يا موسى، أنا جليس من ذكرنى، قال: إني أكون على حال أجلك عنها. قال: ما هي يا موسى؟ قال: عند الغائط والجنابة، قال: اذكرنى على كل حال، وقال عبيد بن عمير: تسبيحة بحمد الله في صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تجرى معه ذهباً، وقال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الذين كانت ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة:١٦) قال فيقومون فيتخطون رقاب الناس. قال: ثم ينادى مناد: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الذين كانت ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (النور:٣٧)، قال: فيقومون فيتخطون رقاب الناس، قال ثم ينادى مناد: وسيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الحمادون لله على كل حال؟ قال:فيقومون وهم كثير، ثم يكون التبعة والحساب فيمن بقى.

وأتى رجل أبا مسلم الخولانى فقال له: أوصني يا أبا مسلم، قال: اذكر الله تعالى تحت كل شجرة ومدرة، فقال: زدني. فقال: اذكر الله تعالى حتى يحسبك الناس من ذكر الله تعالى مجنوناً، قال: وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله تعالى، فرآه رجل وهو يذكر الله تعالى فقال: أمجنون صاحبكم هذا؟ فسمعه أبو مسلم فقال: ليس هذا بالمجنون يا ابن أخي، ولكن هذا دواء الجنون.

السادسة والأربعون: أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد

أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى، وذكر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي، قال أذبه بالذكر. وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة، اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل.

السابعة والأربعون: أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه. فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى، قال مكحول: ذكر الله تعالى شفاء. وذكر الناس داء، وذكره البيهقي عن مكحول مرفوعاً ومرسلاً.

ذكرته شفاها وعافاها، فإذا غفلت عنه انتكست، كما قيل:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ❁ فنترك الذكر أحيانًا فننتكس

الثامنة والأربعون: أن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها، والغفلة أصل معادته ورأسها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه، قال الأوزاعي: قال حسان بن عطية: ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره، فهذه المعاداة سببها الغفلة ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من يذكره، فحينئذ يتخذه عدواً كما اتخذ الذاكر ولياً.

« الذكر جلاب للنعم »

التاسعة والأربعون: أنه ما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى، فالذكر جلاب للنعم، دافع للنقم. قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ (الحج:٣٨) وفي القراءة الأخرى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَدْفَعُ﴾ فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً وأكثر ذكراً كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نقص نقص، ذكراً بذكر ونسياناً بنسيان، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم:٧) والذكر رأس الشكر كما تقدم، والشكر جلاب النعم وموجب للمزيد، قال بعض السلف -رحمة الله عليهم-: ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك.

« صلاة الملائكة على الذاكر »

الخمسون: أن الذكر يوجب صلاة الله تعالى عز وجل وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب:٤١-٤٣)، فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأى خير لم يحصل لهم، وأي شر لم يندفع عنهم؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله. وبالله التوفيق.

الحادية والخمسون: أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر: فإنها رياض الجنة. وقد ذكر ابن أبى الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: **«يا أيها الناس: ارتعوا في رياض الجنة»**. قلنا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: **«مجالس الذكر»** ثم قال: **«اغدوا وروحوا واذكروا، فمن كان يحب أن يعلم منـزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منـزلة الله تعالى عنده، فإن الله تعالى ينـزل العبد منه حيث أنـزله من نفسه»**.

الثانية والخمسون: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه، كما أخرجا في الصحيحين من حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله ملائكة فضلاً عن كتاب الناس، يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا: قال: فيسألهم ربهم تعالى -وهو أعلم بهم- ما يقول عبادى؟ قال يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك، قال فيقول: هل رأونى؟ قال فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول كيف لو رأونى؟ قال: فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تحميداً وتمجيداً وأكثر لك تسبيحاً، قال فيقول: ما يسألونى؟ قال: يسألونك الجنة. قال يقول: وهل رأوها؟ قال يقولون: لا والله يا رب، ما رأوها، قال فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها**

طلباً وأعظم فيها رغبة. فيقول: فمم يتعوذون ؟ قال يقولون: من النار. قال يقول: وهل رأوها؟ قال يقولون: لا والله يا رب، ما رأوها، قال يقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منهم فراراً، وأشد لها مخافة، قال يقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»[1].

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم فلهم نصيب من قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (مريم:٣١) فهكذا المؤمن مبارك أين حل. والفاجر مشئوم أين حل.

فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكل مضاف إلى شكله وأشباهه، وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه.

« مباهاة الملائكة »

الثالثة والخمسون: أن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله تعالى. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال. أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: **«ما أجلسكم؟»** قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ علينا بك. قال: **«آلله ما أجلسكم إلا ذاك»**؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: **«أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله تبارك وتعالى يباهي بكم الملائكة»**[2]، فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له، وأن له مزية على غيره من الأعمال.

الرابعة والخمسون: أن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك، لما ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبي الدرداء قال: الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠١).

الخامسة والخمسون: أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى، والمقصود بـها تحصيل ذكر الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ (طه:١٤) قيل المصدر مضاف إلى الفاعل أي لأذكرك بـها، وقيل مضاف إلى المذكور أي لتذكروني بـها. واللام على هذا لام التعليل. وقيل هى اللام الوقتية أى أقم الصلاة عند ذكرى كقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ (الإسراء:٧٨) وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ (الأنبياء:٤٧)، وهذا المعنى يراد بالآية لكن تفسيرها به وأنه هو معناها فيه نظر، لأن هذه اللام الوقتية يليها أسماء الزمان والظروف، والذكر مصدر إلا أن يقدر زمان محذوف أى عند وقت ذكري، وهذا محتمل، والأظهر أنـها لام التعليل أى أقم الصلاة لأجل ذكرى، ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره، وإذا ذكر العبد ربه فذكر الله تعالى سابق على ذكره، فإنه لما ذكره ألهمه ذكره، فالمعاني الثلاثة حق. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ (العنكبوت:٤٥)، فقيل المعنى أنكم في الصلاة تذكرون الله وهو ذاكر من ذكره. ولذكرُ الله تعالى إياكم أكبر من ذكركم إياه. وهذا يروى عن ابن عباس وسلمان وأبى الدرداء وابن مسعود رضى الله عنهم، وذكر ابن أبى الدنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ قَالَ: هو قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ (البقرة:١٥٢) فذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إياه. وقال ابن زيد وقتادة. معناه ولذكر الله أكبر من كل شيء.

وقيل لسلمان: حديث أي الأعمال أفضل؟ فقال: أما تقرأ القرآن ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ (العنكبوت:٤٥) ويشهد لهذا الحديث حديث أبى الدرداء المتقدم: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق**»[1] الحديث. وكان شيخ الإسلام أبو العباس -قدس الله روحه- يقول: الصحيح أن معنى الآية أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان وأحدهما أعظم من الآخر: فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وهى مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر، وذكر ابن أبى الدنيا عن ابن عباس أنه سئل: أى العمل أفضل؟ قال: ذكر الله أكبر، وفي

---

(١) حديث صحيح : وقد سبق تخريجه.

السنن عن عائشة عن النبى ﷺ قال: «**إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمى الجمار لإقامة ذكر الله تعالى**»[١] رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

السادسة والخمسون: إن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً لله عز وجل، فأفضل الصوام أكثرهم ذكراً لله عز وجل في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وأفضل الحجاج أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وهكذا سائر الأحوال، وقد ذكر ابن أبى الدنيا حديثاً مرسلا في ذلك أن النبى ﷺ سئل: أى أهل المسجد خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله عز وجل**» قيل: أى الجنازة خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله عز وجل**»، قيل، فأى المجاهدين خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله عز وجل**». قيل: فأى الحجاج خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله عز وجل**»، قيل: وأي العباد خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله عز وجل**»، قال أبو بكر: ذهب الذاكرون بالخير كله، وقال عبيد بن عمير: إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه. وبخلتم على المال أن تنفقوه، وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه، فأكثروا من ذكر الله ﷻ.

« فوائد إدامة الذكر »

السابعة والخمسون: أن إدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية، أو مالية أو بدنية مالية كحج التطوع، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم. يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ولهم فضل أموالهم يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون، فقال: «**ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا أحد يكون أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة**»[٢] الحديث متفق عليه، فجعل الذكر عوضاً لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر، فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به، فازدادوا -إلى صدقاتهم بمالهم وعبادتهم- التعبد بهذا الذكر، فحازوا الفضيلتين، فنفسهم الفقراء وأخبروا

(١) أخرجه الترمذي (٩٠٢)، وأبو داود (١٨٨٨)، من طريق عبيد الله بن أبي زياد عن القاسم بن محمد عن عائشة مرفوعاً وعبيد الله فيه ضعف.

(٢) **حديث صحيح**: رواه البخاري (٨٤٣)، (٦٣٢٩)، ومسلم (٥/ ٩٣).

رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك وانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليه، فقال: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**».

وفي حديث عبد الله بن بسر قال: جاء أعرابى فقال: يا رسول الله، كثرت على خلال الإسلام وشرائعه، فأخبرنى بأمر جامع يكفينى. قال: «**عليك بذكر الله تعالى**» قال: ويكفينى يا رسول الله ؟ قال: «**نعم، ويفضل عنك**»[١] فدله الناصح ﷺ على شيء يبعثه على شرائع الإسلام والحرص عليها والاستكثار منها، فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره أحبه وأحب ما يحب، فلا شيء أحب إليه من التقرب بشرائع الإسلام، فدله ﷺ على ما يتمكن به من شرائع الإسلام وتسهل به عليه وهو ذكر الله ﷻ. يوضحه:

الثامنة والخمسون: أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذذها ويجعل قرة عينه فيها ونعيمه وسروره بها، بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذلك. يوضحه:

التاسعة والخمسون: أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم. يوضحه:

الستون: أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا. والله المستعان.

الحادية والستون: أن الذكر يعطى الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر،

---

(١) حديث صحيح : وقد سبق تخريجه.

وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيمًا. وقد علَّم النبى ﷺ ابنته فاطمة وعلياً رضى الله تعالى عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثا وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين لما سألته الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعى والخدمة، فعلمها ذلك وقال: «**إنه خير لكما من خادم**»[١] فقيل إن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه مغنية عن خادم.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- يذكر أثراً في هذا الباب ويقول: إن الملائكة لما أمروا بحمل العرش قالوا: يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك؟ فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما قالوا حملوه. حتى رأيت ابن أبى الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قال حدثنا مشيختنا أنه بلغهم أن أول ما خلق الله ﷻ -حين كان عرشه على الماء- حملة العرش، قالوا: ربنا لم خلقتنا ؟ قال: خلقتكم لحمل عرشى. قالوا: ربنا ومن يقوى على حمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ووقارك؟ قال: لذلك خلقتكم. فأعادوا عليه ذلك مراراً فقال لهم قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فحملوه، وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك، ومن يخاف، وركوب الأهوال، ولها أيضاً تأثير في دفع الفقر. كما روى ابن أبى الدنيا عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن أسد بن وداعة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من قال لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقراً أبداً**»[٢]، وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقى عدواً أو ناهض حصناً قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنه ناهض يوماً حصناً للروم فانهزم، فقالها المسلمون وكبروا فانهدم الحصن.

الثانية والستون: أن عمال الآخرة كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القترة والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا انجلى الغبار وانكشف رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق، قال الوليد بن مسلم قال محمد بن عجلان سمعت عمر مولى غفرة يقول: إذا انكشف الغطاء (للناس) يوم القيامة عن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٦٢)، ومسلم (١٧/ ٤٥).

(٢) إسناده منقطع : حيث لا يعرف لمعاوية بن صالح سماع عن أحد من الصحابة.

ثواب أعمالهم لم يروا عملاً أفضل ثواباً من الذكر، فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون: ما كان شيء أيسر علينا من الذكر.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: **«سيروا، سبق المفردون»**، قالوا: وما المفردون؟ قال: **«الذين أهتروا في ذكر الله تعالى يضع الذكرُ عنهم أوزارهم»**(١).

أهتروا بالشيء وفيه: أولعوا به ولزموه وجعلوه دأبهم، وفي بعض ألفاظ الحديث **«المستهترون بذكر الله»** ومعناه الذين أولعوا به، يقال استهتر فلان بكذا إذا ولع به وفيه تفسير آخر أن أهتروا في ذكر الله أى كبروا، وهلك أقرانهم وهم في ذكر الله تعالى، يقال أهتر الرجل فهو مهتر إذا سقط في كلامه من الكبر، والهتر السقط من الكلام، كأنه بقى في ذكر الله تعالى حتى خرف وأنكر عقله؛ والهتر الباطل أيضاً، ورجل مستهتر إذا كان كثير الأباطيل. وفي حديث ابن عمر: أعوذ بالله أن أكون من المستهترين. وحقيقة اللفظة أن الاستهتار: الإكثار من الشيء والولع به حقاً كان أو باطلاً، وغلب استعماله على المبطل حتى إذا قيل فلان مستهتر لا يفهم منه إلا الباطل، وإنما إذا قيد بشيء تقيد به نحو هو مستهتر، وقد أهتر في ذكر الله تعالى أى أولع به وأغرى به، ويقال استهتر فيه وبه. وتفسير هذا في الأثر الآخر: **«أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون»**(٢).

الثالثة والستون: أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده، فإنه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدقه ربه، ومن صدق الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين، ورجى له أن يحشر مع الصادقين، روى أبو إسحق عن الأغر أبى مسلم أنه شهد على أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: **«إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، قال يقول الله تبارك وتعالى: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا لا شريك لى، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا لى الملك ولى الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا**

---

(١) حديث صحيح: وقد سبق تخريجه.

(٢) إسناده ضعيف: وقد سبق تخريجه.

ولاحول ولا قوة إلا بي، قال أبو إسحق: ثم قال (في) الآخر شيئاً لم أفهمه، قلت لأبى جعفر: ما قال؟ قال: **من رزقهن عند موته لم تمسه النار**»[١].

الرابعة والستون: أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء، ذكر ابن أبى الدنيا في كتابه عن حكيم بن محمد الأخنسى قال: بلغنى أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء، فيقال لهم، فيقولون: حتى تأتينا نفقة. وذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبي هريرة عـن النبى ﷺ قال: «**من قال: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم -سبع مرات- بنى له برج في الجنة**»[٢] وكما أن بناءها بالذكر فغراس بساتينها بالذكر، كما تقدم في حديث النبى ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام: «**أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وإنها قيعان، وإن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»[٣] فالذكر غراسها وبناؤها. وذكر ابن أبى الدنيا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أكثروا من غراس الجنة**، قالوا: يا رسول الله، وما غراسها؟ قال: **ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله**»[٤].

الخامسة والستون: أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال كان الذكر سداً في تلك الطريق، فإذا كان ذكراً دائماً كاملاً كان سداً محكماً لا منفذ فيه، وإلا فبحسبه.

قال عبد العزيز بن أبى رواد: كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجداً فجعل في قبلته سبعة أحجار، كان إذا قضى صلاته قال: يا أحجار أشهدكم أنه لا إله إلا الله قال فمرض الرجل، فعرج بروحه، قال فرأيت في منامى أنه أمر به إلى النار، قال فرأيت حجراً من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عنى باباً من أبواب جهنم، ثم أتى إلى الباب الآخر وإذا حجر من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسدَّ عنى باباً من أبواب جهنم، حتى سدت عنى بقية الأحجار أبواب جهنم.

السادسة والستون: أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب، كما روى حسين

---

(١) إسناده صحيح : وقد سبق تخريجه.
(٢) إسناده ضعيف .
(٣) إسناده ضعيف : وقد سبق تخريجه.
(٤) إسناده ضعيف.

المعلم عن عبد الله بن بريدة عن عامر الشعبي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أجد في كتاب الله المنزل أن العبد إذا قال: «الحمد لله» قالت الملائكة: «رب العالمين»، وإذا قال: «الحمد لله رب العالمين» قالت الملائكة: «اللهم اغفر لعبدك»، وإذا قال: «سبحان الله» قالت الملائكة: «وبحمده»، وإذا قال: «سبحان الله وبحمده» قالت الملائكة: «اللهم اغفر لعبدك»، وإذا قال: «لا إله إلا الله» قالت الملائكة: «اللهم اغفر لعبدك»[1].

السابعة والستون: أن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله ﷻ عليها. قال ابن مسعود: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: أمرَّ بك اليوم أحد يذكر الله ﷻ؟ فإذا قال: نعم، استبشر.

وقال عون بن عبد الله: إن البقاع لينادي بعضها بعضًا: يا جارتاه أمرَّ بك اليوم أحد يذكر الله ؟ فقائلة: نعم، وقائلة: لا، فقال الأعمش عن مجاهد: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان هل مرَّ بك اليوم ذاكر لله ﷻ؟ فمن قائل: لا، ومن قائل: نعم.

الثامنة والستون: أن كثرة ذكر الله ﷻ أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله ﷻ. قال الله ﷻ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء:١٤٢)، وقال كعب: من أكثر ذكر الله ﷻ برئ من النفاق. ولهذا -والله أعلم- ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (المنافقون:٩) فإن في ذلك تحذيراً من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله ﷻ فوقعوا في النفاق، وسئل بعض الصحابة ﷺ عن الخوارج: منافقون هم؟ قال: لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، فهذا من علامات النفاق قلة ذكر الله ﷻ، وكثرة ذكره أمان من النفاق والله ﷻ أكرم من أن يبتلى قلباً ذاكراً بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله ﷻ.

التاسعة والستون: أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، والنعيم الذى يحصل لقلبه لكفى به، ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة، قال مالك بن دينار: ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله ﷻ، فليس شيء من الأعمال أخف مؤنة منه ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجاً للقلب.

---

(١) هذا الأثر موقوف على عبد الله بن عمرو، ولعله من الإسرائيليات.

السبعون: أنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونوراً في الآخرة، فالذاكرون أنضر الناس وجوهاً في الدنيا وأنورهم في الآخرة، ومن المراسيل عن النبى ﷺ قال: «**من قال كل يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، أتى الله تعالى يوم القيامة ووجهه أشد بياضاً من القمر ليلة البدر**».

الحادية والسبعون: أن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة: قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ (الزلزلة:١-٥) فروى الترمذي في جامعه من حديث سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال: «قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: **أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا**»[1] قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». والذاكر لله عز وجل في سائر البقاع مكثر شهوده ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة يوم قيام الأشهاد وأداء الشهادات فيفرح ويغتبط بشهادتهم.

الثانية والسبعون: أن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة والنميمة واللغو ومدح الناس وذمهم وغير ذلك، فإن اللسان لا يسكت البتة: فإما لسان ذاكر، وإما لسان لاغ، ولابد من أحدهما، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وهو القلب وإن لم تسكنه محبة الله ﷻ سكنه محبة المخلوقين ولابد. وهو اللسان، إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولابد، فاختر لنفسك إحدى الخطتين، وأنزلها في إحدى المنزلتين.

الثالثة والسبعون: وهى التى بدأنا بذكرها وأشرنا إليها إشارة فنذكرها ها هنا مبسوطة لعظيم الفائدة بها، وحاجة كل أحد بل ضرورته إليها، وهى أن الشياطين قد

---

(١) **إسناده ضعيف** : أخرجه الترمذي (٢٤٢٩)، والنسائي من طريق يحيى بن أبي سليمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً به، ويحيى بن أبي سليمان ضعيف الحديث.

احتوشت العبد وهم أعداؤه فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظاً وأحاطوا به، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله ﷻ.

وفي هذا الحديث العظيم الشريف القدر الذي ينبغي لكل مسلم أن يحفظه، فنذكره بطوله لعموم فائدته وحاجة الخلق إليه، وهو حديث سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن ابن سمرة بن جندب قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً وكنا في صفة بالمدينة، فقام علينا فقال: «**إني رأيت البارحة عجباً: رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه: ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاء وضوؤه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله ﷻ فطرد الشيطان عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً من أمتي يلتهب -وفي رواية يلهث- عطشاً. كلما دنا من حوض منع وطرد، فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه. ورأيت رجلاً من أمتي ورأيت النبيين جلوساً حلقاً حلقاً كلما دنا إلى حلقة طرد، فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي، ورأيت رجلاً من أمتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور، ورأيت رجلاً من أمتي يتقى بيده وهج النار وشرره، فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار وظللت على رأسه، ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المسلمين، إنه كان وصولاً لرحمه فكلموه، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الزبانية، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمتي جاثيًا على ركبتيه وبينه وبين الله ﷻ حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله ﷻ . ورأيت رجلاً من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله ﷻ فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمتي خف ميزانه فجاءه أفراطه، فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله ﷻ فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي قد أهوى في النار، فجاءته دمعته التي بكى من خشية الله ﷻ فاستنقذته من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قائمًا على**

الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله ﷻ فسكن رعدته ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً. فجاءته صلاته عليّ فأقامته على قدميه وأنقذته، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة»(١) رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب (الترغيب في الخصال المنجية، والترهيب من الخلال المردية) وبنى كتابه عليه وجعله شرحاً له، وقال: هذا حديث حسن جداً رواه عن سعيد بن المسيب عمرو بن آزر وعلى بن زيد بن جدعان وهلال أبو جبلة.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يعظم شأن هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه.(٢) والمقصود منه قوله ﷺ: **«ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله ﷻ فطرد الشيطان عنه»، فهذا مطابق** لحديث الحارث الأشعري الذي شرحناه في هذه الرسالة وقوله فيه: **«وأمركم بذكر الله ﷻ وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو فانطلقوا في طلبه سراعاً وانطلق حتى أتى حصناً حصينًا فأحرز نفسه فيه»** فكذلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله ﷻ. وفي الترمذى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال - يعنى إذا خرج من بيته- بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له: كفيت وهديت ووقيت. وتنحى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقي؟»**(٣). رواه

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي وفي الآخر خالد ابن عبد الرحمن المخزومي وكلاهما ضعيف.
والحديث ضعفه المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٢٥-٢٦). والهيثمي في «المجمع» والألباني في «ضعيف الجامع» (٢٠٨٥)، والحافظ العراقي وعزاه إلى الخرائطي في «الأخلاق»، وقال: سنده ضعيف. وأيضاً ابن الجوزي قال: هذا حديث لا يصح، وانظر تعليقي على «جلاء الأفهام» (٤٨٤).

(٢) وقال المصنف في «الروح» (ص ١١٥): «سمعت شيخ الإسلام يعظم أمر هذا الحديث وقال: أصول أهل السنة تشهد له، وهو من أحسن الأحاديث» اهـ. وقال القرطبي في «التذكرة» (ص ٢٩٣): «هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالاً خاصة، تنجي من أهوال خاصة» اهـ.

(٣) **حديث صحيح**: أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٧٥) من طرق عن: ابن جريج عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك به. =

أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن. وقد تقدم قوله ﷺ : «**من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له حرزاً من الشيطان حتى يمسي**»(١).

وذكر سفيان عن أبي الزبير عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال: إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت، وإذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت، وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك حفظت، فيقول الشياطين بعضهم لبعض: ارجعوا، ليس لكم عليه سبيل، كيف لكم بمن كفى وهدى وحفظ؟

وقال أبو خلاد المصري: من دخل في الإسلام دخل في حصن، ومن دخل المسجد فقد دخل في حصنين، ومن جلس في حلقة يذكر الله ﷻ فيها فقد دخل في ثلاثة حصون.

وقد روى الحافظ أبو موسى في كتابه من حديث أبي عمران الجونى عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**إذا وضع العبد جنبه على فراشه، فقال بسم الله، وقرأ فاتحة الكتاب أمن من شر الجن والإنس ومن كل شيء**»(٢).

وفي صحيح البخاري عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: ولاني رسول الله ﷺ زكاة رمضان أن أحتفظ بها، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقال: دعني فإني لا أعود، فذكر الحديث وقال: فقال له في الثالثة: أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها إلى آخرها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخلى سبيله، فأصبح فأخبر النبي ﷺ بقوله فقال: «**صدقك، وهو كذوب**»(٣).

= قال الترمذي في: «العلل الكبير» (٢/ ٩١٠): سألت محمداً - يعني البخاري - عن هذا الحديث فقال حدثوني عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج بهذا الحديث، ولا أعرف لابن جريج عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة غير هذا الحديث، ولا أعرف له سماعاً منه.

قلت: قد صرح ابن جريج بالسماع من إسحاق في رواية ابن حبان، فتندفع بذلك علة الانقطاع والله أعلم. وللحديث شواهد عن جماعة من الصحابة.

(١) **حديث صحيح**: وقد سبق تخريجه.

(٢) **إسناده ضعيف**: أخرجه البزار في «مسنده» بسند ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٤٨٧) تعليقاً، ووصله النسائي والإسماعيلي وأبو نعيم.

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : **«إذا أوى الإنسان إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك: اختم بخير، ويقول الشيطان: اختم بشر. فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه -يعني النوم- طرد الملك الشيطان وبات يكلؤه، فإذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك: افتح بخير، ويقول الشيطان: افتح بشر، فإن قال: الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد موتها ولم يمتها في منامها، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، الحمد لله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه»**(١).

وفي الصحيحين من حديث سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : **«أما إن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله. اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فيولد بينهما ولد، لا يضره الشيطان أبداً»**(٢).

وذكر الحافظ أبو موسى عن الحسن بن على قال: أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين الآية أن يعصمه الله تعالى من كل شيطان ظالم، ومن كل شيطان مريد، ومن كل سبع ضار، ومن كل لص عاد: آية الكرسي وثلاث آيات من الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ...﴾ (الأعراف: ٥٤-٥٦)، وعشراً من الصافات وثلاث آيات من الرحمن ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ...﴾ (الرحمن:٣٣-٣٥)، وخاتمة سورة الحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ...﴾ (الحشر:٢١-٢٤)، وقال محمد بن أبان: بينما رجل يصلى في المسجد إذا هو بشيء إلى جنبه فجفل منه فقال: ليس عليك مني بأس إنما جئتك في الله تعالى، ائت عروة فسله: ما الذي يتعوذ به؟ يعني من إبليس الأباليس. قال: قل آمنت بالله العظيم وحده، وكفرت بالجبت والطاغوت، واعتصمت بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم حسبى الله وكفى، سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى، وقال بشر ابن منصور عن وهيب بن الورد قال: خرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من الليل. قال

---

(١) إسناده ضعيف : أخرجه أبو يعلى (١٧٩١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٥٤)، والحاكم (١/ ٤٥٨)، من طريق أبي الزبير عن جابر مرفوعاً به.
وأبو الزبير مدلس ولم يصرح بالتحديث في أي طريق من الطرق المذكورة.

(٢) حديث صحيح : وقد سبق تخريجه.

فسمعت حساً - أو صوتاً- شديدًا، وجيء بسرير حتى وضع، وجاء شيء حتى جلس عليه. قال: واجتمعت إليه جنوده، ثم صرخ فقال: من لي بعروة بن الزبير؟ فلم يجبه أحد حتى تتابع ما شاء الله عز وجل من الأصوات، فقال واحد، أنا أكفيكه. قال فتوجه نحو المدينة وأنا ناظر، ثم أوشك الرجعة فقال: لا سبيل إلى عروة، وقال: ويلكم وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى فلا نخلص إليه معهن. قال الرجل: فلما أصبحت قلت لأهلي جهزوني، فأتيت المدينة فسألت عنه حتى دللت عليه، فإذا شيخ كبير، فقلت: شيئاً تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ فأبى أن يخبرني، فأخبرته بما رأيت وما سمعت، فقال ما أدري، غير أني أقول إذا أصبحت: آمنت بالله العظيم وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم. إذا أصبحت قلت ثلاث مرات، وإذا أمسيت قلت ثلاث مرات، وذكر أبو موسى عن مسلم البطين قال: قال جبريل للنبي ﷺ : **«إن عفريتاً من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فقل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ من الأرض وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن»**[(١)].

وقد ثبت في الصحيح أن الشيطان يهرب من الأذان، قال سهيل بن أبي صالح: أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام -أو صاحب- لنا فنادى مناد من حائط باسمه، فأشرف الذي معي على الحائط فلم ير شيئاً، فذكرت ذلك لأبي فقال: لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك، ولكن إذا سمعت صوتاً فنادِ بالصلاة، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولى وله حصاص»**[(٢)] وفي رواية: **«إذا سمع النداء ولى وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين»** الحديث.

---

(١) **حديث ضعيف والصواب كونه مرسلاً**: رواه أبو داود (٥٠٥٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٦٠٣) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧١٣). وغيرهم من طريق الأحوص بن جواب عن عمار بن رزيق عن أبي إسحاق عن الحارث وأبي ميسرة كلاهما عن علي به.
قلت: الأحوص بن جواب صدوق ربما وهم، وعمار بن رزيق ثقة والحارث هو الأعور ضعيف بل كذبه الشعبي. وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ٣٦٥): حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة مرسلاً. قلت: والصحيح: طريق إسرائيل المرسلة والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (٤/ ٩٠).

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبى رجاء عن أبى بكر الصديق قال: قال رسول الله ﷺ: «**استكثروا من لا إله إلا الله والاستغفار، فإن الشيطان قال: قد أهلكتهم بالذنوب وأهلكوني بقول لا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك منهم أهلكتهم بالأهواء حتى يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون**»[1].

وذكر أيضاً عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال: بينا رجل مسافر إذ مر برجل نائم ورأى عنده شيطانين، فسمع المسافر أحد الشيطانين يقول لصاحبه: اذهب فأفسد على هذا النائم قلبه، فلما دنا منه رجع إلى صاحبه فقال: لقد نام على آية ما لنا إليه سبيل، فذهب إلى النائم، فلما دنا منه رجع قال: صدقت، فذهب ثم إن المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانين فقال: أخبرني على أي آية نمت، قال على هذه الآية ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأعراف:٥٤).

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كنت أرى في دارى.. فقيل: يا أبا النضر تحول عن جوارنا، قال فاشتد ذلك عليَّ، فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس والمحاربى وأبى أسامة، فكتب إليَّ المحاربى: إن بئراً بالمدينة كان يقطع رشاؤها، فنزل بهم ركب، فشكوا ذلك إليهم، فدعوا بدلو من ماء ثم تكلموا بهذا الكلام فصبوه في البئر فخرجت نار من البئر فطفئت على رأس البئر.

قال أبو النضر فأخذت توراً من ماء، ثم تكلمت فيه بهذا الكلام، ثم تتبعت به زوايا الدار فرششته، فصاحوا بى: أحرقتنا، نحن نتحول عنك. وهو: بسم الله، أمسينا بالله الذى ليس منه شيء ممتنع، وبعزة الله التى لا ترام ولا تضام، وبسلطان الله المنيع نحتجب، وبأسمائه الحسنى كلها عائذ من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن

---

(١) حديث ضعيف جداً: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٣٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧) من طريق عثمان بن مطر عن عبد الغفور عن أبي نُصيرة عن أبي رجاء عن أبي بكر مرفوعاً.

وعبد الغفور هو أبو الصباح الأنصاري الواسطي: قال البخاري: تركوه، وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث، وعثمان بن مطر ضعيف الحديث. وأبو رجاء مجهول. فهذا سند واهٍ جداً.

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في تعليقه على «السنة» (ص ١٠): إسناده موضوع.

ومن شر كل معلن أو مسر، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم، أعوذ بالله بما استعاذ به موسى وعيسى وإبراهيم الذى وفى، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر ما يبغى، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (الصافات:١-١٠).

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ لذلك العبد: «**يحرز نفسه من الشيطان بذكر الله تعالى**». ولنذكر فصولاً نافعة تتعلق بالذكر تكميلاً للفائدة:

الرابعة والسبعون: الذكر نوعان:

أحدهما: ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته والثناء عليه بهما وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى، وهذا أيضاً نوعان:

أحدهما: إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث، نحو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ونحو ذلك. فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو سبحان الله عدد خلقه، فهذا أفضل من مجرد سبحان الله، وقولك: الحمد لله عدد ما خلق فى السماء وعدد ما خلق في الأرض وعدد ما بينهما وعدد ما هو خالق، أفضل من مجرد قولك الحمد لله، وهذا في حديث جويرية أن النبى ﷺ قال لها: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضاء نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته**»[(١)] رواه مسلم.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٧/ ٤٤)، وأبو داود (١٥٠٣)، والنسائي (١/ ١٩٨- ١٩٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٠٧)، والترمذي (٢/ ٢٧٣)، وابن ماجه (٣٨٠٨)، وأحمد (٦/ ٣٢٤- ٣٢٥)، من طرق عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عن كريب عن ابن عباس عن جويرية به. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

وفي الترمذي وسنن أبي داود عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح بها فقال: «**أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل**، فقال: «**سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك**»[1].

الخامسة والسبعون: الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قولك: الله عز وجل يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وهو على كل شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته ونحو ذلك، وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه وبما أثنى به عليه رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع: حمد، وثناء، ومجد، فالحمد لله الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى مع محبته والرضاء به فلا يكون المحب الساكت حامداً ولا المثنى بلا محبة حامداً حتى تجتمع له المحبة والثناء فإن كرر المحامد شيئاً بعد شيء كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجداً، وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة: «فإذا قال العبد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مجدني عبدي»[2].

السادسة والسبعون: من الذكر ذكر أمره ونهيه وأحكامه. وهو أيضاً نوعان:

أحدهما: ذكره بذلك إخباراً عنه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا وأحب كذا وسخط كذا ورضي كذا.

والثاني: ذكره عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه، فذكر أمره ونهيه شيء، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فذكره أفضل الذكر وأجله وأعظمه.

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٥٦٨)، وأبو داود (١٥٠٠)، وفي سنده خزيمة وهو مجهول. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعاً».

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٣٩٥).

فائدة: فهذا الذكر من الفقه الأكبر وما دونه أفضل الذكر إذا صحت فيه النية.

ومن ذكره سبحانه وتعالى ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبيده، وهذا أيضاً من أجل أنواع الذكر.

فهذه خمسة أنواع وهى تكون بالقلب واللسان تارة، وذلك أفضل الذكر. وبالقلب وحده تارة، وهى الدرجة الثانية. وباللسان وحده تارة، وهى الدرجة الثالثة، فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان.

وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة ويثير الحياء ويبعث على المخافة ويدعو إلى المراقبة ويزع عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئاً من هذه الآثار، وإن أثمر شيئاً منها فثمرة ضعيفة.

السابعة والسبعون: الذكر أفضل من الدعاء، الذكر ثناء على الله ﷻ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟ ولهذا جاء في الحديث: «**من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين**»(١) ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعى بحمد الله تعالى والثناء عليه بين يدى حاجته، ثم يسأل حاجته، كما في حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله تعالى ولم يصل على النبى ﷺ ، فقال رَسُولُ الله ﷺ : «**عجل هذا**» ثم دعاه فقال له أو لغيره: «**إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل والثناء عليه، ثم يصلى على النبى ﷺ ، ثم يدعو بعد بما شاء**»(٢) رواه الإمام أحمد والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

ورواه الحاكم في صحيحه(٣). وهكذا دعاء ذى النون عليه السلام قَالَ فيه النبى ﷺ : «**دعوة أخي ذي النون، ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ**

---

(١) حديث حسن : وقد سبق تخريجه.

(٢) حديث حسن : أخرجه أبو داود (٢/ ١٦٢)، والنسائي (٣/ ٤٤)، والترمذي (٩/ ٤٤٩)، وأحمد وغيرهم. وخرجته في تعليقي على «جلاء الأفهام». يسر الله إتمامه إنه ولى ذلك والقادر عليه.

(٣) حديث صحيح : أخرجه الترمذي (٣٥٠٥)، وأبو يعلى (٧٠٧)، (٧٧٢)، وأحمد (١/ ٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٥)، (٢/ ٣٨٢).

﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»، وفى الترمذى: «**دعوة أخي ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب له**».

وهكذا عامة الأدعية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام، ومنه قوله ﷺ في دعاء الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»[1] ومنه حديث بريدة الأسلمى الذى رواه أهل السنن وابن حبان في صحيحه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «**والذى نفسى بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى**»[2].

وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس أنه كان مع النبى ﷺ جالساً ورجل يصلى ثم دعا: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حى يا قيوم، فقال النبى ﷺ: «**إن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر، وإنه اسم الله الأعظم**»[3]، فكان ذكر الله عز وجل والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه.

وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجاباً، فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري (٦٣٤٥)، (٦٣٤٦)، (٧٤٢٦)، (٧٤٣١)، ومسلم (٢٧٣٠)، وأحمد (١/ ٢٢٨، ٣٣٩، ٢٥٤، ٢٥٦)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص ١٣ و١٤)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٨٨)، من طرق عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس به.

(٢) **حديث صحيح على شرط الشيخين**: أخرجه أبو داود (٤/ ٣٦٢)، والترمذي (٩/ ٤٤٥ تحفة)، وابن ماجه (٣١٥٧)، والنسائي في «الكبرى» في «التفسير»، وأحمد (٥/ ٣٦٠) من طرق عن مالك ابن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وقال الشيخ مقبل رحمه الله: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين».

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (٣/ ٥٢).

ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسئول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسئول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعاً وأتم معرفة وعبودية، وأنت ترى في المشاهد -ولله المثل الأعلى- أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته كان أعطف لقلب المسئول وأقرب لقضاء حاجته، فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا تنكر ونحو ذلك، وقد بلغت بى الحاجة والضرورة مبلغاً لا صبر معه ونحو ذلك، كان أبلغ فى قضاء حاجته من أن يقول ابتداء أعطنى كذا وكذا، فإذا عرفت هذا فتأمل قول موسى ﷺ في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص:٢٤) وقول ذى النون ﷺ فى دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨٧) وقول أبينا آدم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (الأعراف:٢٣) وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: **«قل: اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى، إنك أنت الغفور الرحيم»**[1]، فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله والتوسل إلى ربه ﷻ بفضله وجُودِه وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معاً، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية.

التاسعة والسبعون: قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء. هذا من حيث النظر لكل منهما مجرداً، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهى عنها نهى تحريم

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣١٧)، ومسلم (١٧/ ٢٨ نووي).

أو كراهة، وكذلك التسميع والتحميد في محلهما أفضل من القراءة وكذلك التشهد، وكذلك رب اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى بين السجدتين أفضل من القراءة، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة - ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد - أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة، وكذلك إجابة المؤذن والقول كما يقول أفضل من القراءة، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه، لكن لكل مقام مقال، متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره اختلت الحكمة وفقدت المصلحة المطلوبة منه.

وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن، مثاله أن يتفكر في ذنوبه فيحدث ذلك له توبة من استغفار أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن فيعدل إلى الأذكار والدعوات التى تحصنه وتحوطه، وكذلك أيضاً قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر لم يحضر قلبه فيهما، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها اجتمع قلبه كله على الله تعالى وأحدث له تضرعاً وخشوعاً وابتهالاً، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع، وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجراً.

وهذا باب نافع لا يحتاج إلى فقه نفس، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطى كل ذى حق حقه، ويوضع كل شيء موضعه: فللعين موضع، وللرجل موضع، وللماء موضع، وللحم موضع، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التى هى نظام الأمر والنهى، والله تعالى الموفق. وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب في وقت، والتجمير وماء الورد وكيه أنفع له في وقت.

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يوماً. سئل بعض أهل العلم أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقياً: فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دنساً فالصابون والماء الحار أنفع له.

فقال لى -رحمه الله تعالى-: فكيف والثياب لا تـزال دنسة ؟

ومن هذا الباب أن سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص:١) تعدل ثلث القرآن ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق والخلع والعدد ونحوها، بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص، ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه، كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده، لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء.

فهذا أصل نافع جداً يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنـزيلها منازلها، لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيربح إبليس الفضل الذى بينهما، أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها إن كان ذلك وقته، فتفوته مصلحته بالكلية، لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثواباً وأعظم أجراً، وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها، وفقه في إعطاء كل عمل منها حقه، تنـزيله في مرتبته، وتفويته لما هو أهم منه، أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل لإمكان تداركه والعود إليه، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه فالاشتغال به أولى وهذا كترك القراءة -لرد السلام وتشميت العاطس وإن كان القرآن أفضل، لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلى الفاضل، بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس، وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت. والله تعالى الموفق.



فصل
في الأذكار الموظفة التي لا ينبغي للعبد أن يخل بها لشدة الحاجة إليها، وعظم الانتفاع في الآجل والعاجل بها، وفيه فصول:

« الفصل الأول »
في ذكر طرفي النهار

وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الأحزاب:٤٢،٤١) والأصيل: قال الجوهري هو الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه أصل وآصال وأصائل كأنه جمع أصيلة، قال الشاعر:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله ❁ وأقعد في أفيائه بالأصائل

ويجمع أيضاً على أصلان، مثل بعير وبعران، ثم صغروا الجمع فقالوا أصيلان، ثم أبدلوا من النون لاماً فقالوا أصيلال، قال الشاعر:

وقفت فيها أصيلالاً أسائلها ❁ اعيت جوابًا وما بالربع من احد

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ (غافر:٥٥)، فالإبكار أول النهار، والعشى آخره، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ (ق:٣٩)، وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث: من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسى، أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «من قال حين يصبح وحين يمسى: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قَالَ مثل ما قَالَ أو زاد عليه»[1] وفي صحيحه أيضاً عن ابن مسعود قال: كان نبى الله ﷺ إذا أمسى قَالَ: «أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما

(١) أخرجه مسلم (٦٧١٧)، وأبو داود (٥٠٩١)، والترمذي (٣٤٦٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٦٨).

في هذه الليلة وشر ما بعدها. رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر. وإذا أصبح قَالَ ذلك أيضاً: أصبحنا وأصبح الملك لله»[(١)].

وفي السنن عن عبد الله بن حبيب قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «قل» قلت: يا رَسُولُ الله، ما أقول ؟ قال: « ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»[(٢)]، قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وفي الترمذي أيضاً عن أبى هريرة أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه يقول: «إذا أصبح أحدكم فليقل: «اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير»[(٣)] قال الترمذى. حديث حسن صحيح.

وفي صحيح البخارى عن شداد بن أوس عن النبى ﷺ قال: «سيد الاستغفار: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت: أبوء لك بنعمتك على، وأبوء بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة»[(٤)] .

---

(١) رواه مسلم (٦٧٧٧). كتاب الدعوات: باب: «التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل».

(٢) حديث حسن : أخرجه أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥)، والنسائي (٨/ ٢٥٠).

(٣) حديث حسن : أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٩٩)، وأبو داود (٥٠٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٣)، والترمذي (٩/ ٣٣٥)، وابن ماجه (٣٨٦٨)، وأحمد (٢/ ٣٥٤، ٥٢٢)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٩٦٤)، (٩٦٥)، وسنده كلهم ثقات، غير يعقوب بن حميد: قال الحافظ في «التقريب»: «صدوق ربما وهم». وقال الترمذي: «حديث حسن». وله شاهد من حديث علي أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢٩٠) وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو ضعيف.
والحديث أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢٩١)، (٢٩٢) من حديث أبي هريرة به.
تنبيه: نقل ابن تيمية عن الترمذي -مثل المصنف- قوله: «حديث حسن صحيح». انظر «الكلم الطيب» (٣١/ ٢٠) بتلخيص الشيخ الألباني رحمه الله تعالى. وقال الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٢/ ٣٨٩): «هذا حديث حسن على شرط مسلم».

(٤) أخرجه البخاري (١١/ ٩٧ فتح)، والترمذي (٤/ ٢٢٩)، وأحمد (٤/ ١٢٢، ١٢٥)، والطبراني(٧١٧٢) (٧١٧٤) عن بشر بن كعب العدوي عن شداد بن أوس مرفوعاً به، وأخرجه الطبراني (٧١٨٩) من طريق كثير بن زيد المدني حدثني المغيرة بن سعد بن نوفل عن شداد به.

وفى الترمذي عن أبى هريرة أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله ﷺ : مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: «**قل: اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه، وأن نقترف سوءاً على أنفسنا أو نجره إلى مسلم. قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك**»[١]. قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وفى الترمذى أيضاً عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم -ثلاث مرات- فيضره شيء**»[٢] قال الترمذى: حديث حسن صحيح. وفيه أيضاً عن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يمسي وإذا أصبح: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، كان حقاً على الله أن يرضيه**»[٣] وقال: «حديث حسن صحيح»، وفي الترمذي أيضاً عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يصبح أو يمسى: اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وأن محمداً عبدك ورسولك: أعتق الله ربعه من النار. ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعاً أعتقه الله من النار**»[٤].

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه أبو داود (٥٠٦٧)، والترمذي (٣٣٩٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١١)، (٥٦٧)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٢٣٤٩). والطيالسي (١/ ٤). وسنده صحيح.
وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه أحمد (١/ ٩، ١٠)، وقال المصنف في «الزاد» (٢/ ٣٨٨): «حديث صحيح».

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذي (٣٣٨٥)، وأبو داود (٥٠٨٨)، وأحمد (١/ ٦٢،٦٣، ٦٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٦٠)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٥)، (٣٤٦)، والطيالسي (٧٩)، والحاكم (١/ ٥١٤).
قال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب». اهـ. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال المصنف في «الزاد» (٢/ ٣٣٩): «حديث حسن». اهـ. وقال الشيخ مقبل بن هادي رحمه الله في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٢/ ٧٢): «هذا حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح، إلا أبا مودود وهو عبد العزيز بن أبي سليمان، وقد وثقه أحمد وابن معين وأبو داود». اهـ.

(٣) **حديث حسن** : وقد سبق تخريجه.

(٤) **إسناده ضعيف** : أخرجه أبو داود (٥٠٧٨)، والترمذي (٣٥٠١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩)، (١٠) من طريق مسلم بن زياد عن أنس مرفوعاً. وسنده ضعيف، ومسلم بن زياد قال الحافظ في «التقريب»: «مقبول». قلت حديثه لا يرتقى للحسن. لكن للحديث شواهد يحسن بها.

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن غنام أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته**»(١).

وفي السنن وصحيح الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: لم يكن النبى ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح: «**اللهم إنى أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إنى أسألك العفو والعافية في دينى ودنياى وأهلى ومالى، اللهم استر عوراتى، وآمن روعاتى، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»(٢). قال وكيع يعنى الخسف.

وعن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبى الدرداء فقال يا أبا الدرداء، قد احترق بيتك. فقال: ما احترق، لم يكن الله ليفعل ذلك لكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسى، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح: «**اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة ربى آخذ بناصيتها، إن ربى على صراط مستقيم**»(٣).

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه أبو داود (٥٠٧٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤١)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٢٣٦١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣٢٨)، والطبراني في «الدعاء» (٣٠٦)، (٣٠٧) من طريق عبد الله بن عنبسة عن عبد الله بن غنام البياضي مرفوعاً. وعبد الله بن عنبسة قال في «التقريب»: «مقبول» أي إذا توبع وإلا فلين، ولم يوثقه غير ابن حبان، وابن حبان معروف بتوثيق المجاهيل.

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي (٨/ ٢٨٢)، وابن ماجه (٣٨٧١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٦٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٠)، والحاكم (١/ ٥١٧)، وغيرهم.
تنبيه: كلام وكيع عند ابن ماجه.

(٣) **إسناده ضعيف**: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٦)، (٥٧)، والطبراني في «الدعاء» (٣٤٣)، والخرائطي كما في «نتائج الأفكار» (٢/ ٤٠٢).
وفي سنده أغلب بن تميم الشعوذي: قال البخاري: منكر الحديث.
وقال ابن معين: ليس بشيء.
وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة.

« الفصل الثانى » في أذكار النوم

في الصحيحين عن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا» وإذا استيقظ من منامه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»(١).

وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما يقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات(٢).

وفي صحيح البخاري عن أبى هريرة أنه أتاه آت يحثو من الصدقة وكان قد جعله النبى ﷺ عليها ليلة بعد ليلة، فلما كان في الليلة الثالثة قال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ (البقرة:٢٥٥) حتى ختمها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبى ﷺ: «صدقك وهو كذوب»(٣) وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة في مسنده أنها جرت لأبى الدرداء، ورواها الطبراني في معجمه أنها جرت لأبى بن كعب.

وفي الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه»(٤). الصحيح أن معناها كفتاه من شر ما يؤذيه، وقيل كفتاه من قيام الليل وليس بشيء، قال على بن أبى طالب: ما كنت أرى أحداً يغفل قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٢)، (٦٣١٤)، (٦٣٢٤)، (٧٣٩٤)، وفي «الأدب المفرد» (١٢٠٥)، وأبو داود (٥٠٤٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» كما في «الكبرى» (١٠٥٨٣)، (١٠٥٨٥)، والترمذي (٣٤١٧)، وابن ماجه (٣٨٨٠)، وأحمد (٥/ ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٧)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٥٥٣٢)، (٥٥٣٩)، والطبراني في «الدعاء» (٢٥٩)، (٢٦٠)، (٢٨١)، (٢٨٣)، (٢٨٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣٠٥)، (١٣٠٦)، من طرق عن ربعي عن حذيفة به.

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٦٢ فتح) وغيره.

(٣) قد سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٥٥ فتح)، ومسلم (٦/ ٩١ نووي).

وفي الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بصنفة إزاره ثلاث مرات، فإنه لا يدرى ما خلفه عليه بعده، وإذا اضطجع فليقل: باسمك اللهم ربى وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسى فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»**(١).

وفي الصحيحين عنه عن النبى ﷺ: **«إذا استيقظ أحدكم فليقل: الحمد لله الذى عافانى في جسدى، ورد عليَّ روحى، وأذن لى بذكره»**(٢).

وقد تقدم حديث علي ووصية النبى ﷺ له ولفاطمة رضى الله تعالى عنهما أن يسبحا إذا أخذا مضاجعهما للنوم ثلاثاً وثلاثين، ويحمدا ثلاثاً وثلاثين، ويكبرا أربعاً وثلاثين، وقال: **«هو خير لكما من خادم»**(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه-: بلغنا أن من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره، وفي سنن أبى داود عن حفصة أم المؤمنين أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: **«اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»**(٤) ثلاث مرات، قال الترمذى: حديث حسن.

وفي صحيح مسلم عن أنس أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: **«الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوى»**(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٢٥)، وفي «الأدب» (١٢١٠)، ومسلم (١٧/ ٣٧ نووي)، وأبو داود (٥٠٥٠)، والترمذي (٣٤٠١)، وأحمد (٢/ ٢٤٦، ٢٨٣، ٢٩٥، ٤٢٢) وابن حبان كما في «الإحسان»، بعضهم جعله من حديث سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة، وبعضهم من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة، وهذا الحديث من الأحاديث التي انتقدها الدارقطني على الشيخين كما في «التتبع» (ص ١٣٢) رقم (١١): وقد قال ابن حبان كما في «الإحسان» (١٢/ ٣٤٦): «سمع هذا الخبر سعيد المقبري عن أبي هريرة وسمعه من أبيه عن أبي هريرة، فالطريقان جميعاً محفوظان».

(٢) هذا الحديث ليس في الصحيحين جزماً. وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٦٦)، من طريق ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة به. وانظر التعليق رقم (٢).

(٣) حديث صحيح : وقد سبق تخريجه.

(٤) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (٥٠٤٥) من حديث حفصة مرفوعاً، وفي إسناده سواء الخزاعي وحديثه فيه ضعف، لكن للحديث شواهد يصح بها منها: عن حذيفة، والبراء بن العازب.

(٥) رواه مسلم (١٧/ ٣٧ نووي).

وفي صحيحه أيضاً عن ابن عمر أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: «**اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية**»[1]. قال ابن عمر: سمعتهن من رسول الله ﷺ، وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه -ثلاث مرات- غفر الله له ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا**»[2].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر**»[3]. وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. فإن مت مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول**»[4].

« الفصل الثالث » في أذكار الانتباه من النوم

روى البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «**من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له. فإن توضأ وصلى قبلت صلاته**»[5].

---

(١) رواه مسلم (١٧/ ٣٥ نووي).
(٢) إسناده ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٣٩٧)، وسنده ضعيف من أجل عبيد الله بن الوليد الوصافي وعطية العوفي وكلاهما ضعيف.
(٣) رواه مسلم (١٧/ ٣٥ نووي).
(٤) رواه البخاري (١١/ ١٠٩ فتح).
(٥) أخرجه البخاري (٣/ ٣٩ فتح) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٦١)، والترمذي (٣٤١٤)، وأبو داود (٥٠٦٠)، وابن ماجه (٣٨٧٨)، وأحمد (٥/ ٣١٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧٥١)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٥).

وفى الترمذى عن أبى أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أوى إلى فراشه طاهراً وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيراً إلا أعطاه إياه**»[١] حديث حسن، وفي سنن أبى داود عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «**لا إله إلا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبى، وأسألك رحمتك، اللهم زدنى علماً ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى، وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**»[٢].

« الفصل الرابع » في أذكار الفزع في النوم والفكر

روى الترمذى عن بريدة قال: شكا خالد بن الوليد إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، ما أنام الليل من الأرق، فقال النبى ﷺ : «**إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لى جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط على أحد منهم، أو أن يطغى علىّ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك ولا إله إلا أنت**»[٣].

وفي الترمذى عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: «**أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**»[٤] وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه وعلقه عليه.

---

(١) **إسناده ضعيف** : أخرجه الترمذي (٣٥٢٦)، من طريق شهر بن حوشب عن أبي أمامة مرفوعاً.
وشهر فيه ضعف معروف. وقد اختلف على شهر فيه أيضاً.

(٢) **إسناده ضعيف** : أخرجه أبو داود (٥٠٦١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٦٥)، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٧٥٦)، والحاكم (١/ ٥٤٠)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٢٣٥٩) من طريق عبد الله بن الوليد عن سعيد بن المسيب عن عائشة مرفوعاً، وعبد الله بن الوليد بن قيس: قال الدارقطني: لا يعتبر به، وقال الحافظ في «التقريب» (١/ ٤٥٩): «لين الحديث».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٢٣). بسند ضعيف فيه الحكم بن ظهير وقد تركه غير واحد من أهل العلم.

(٤) **إسناده ضعيف** : أخرجه الترمذي (٣٥٢٨)، وأبو داود (٣٨٩٣)، وأحمد (٢/ ١٨١)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ٨٨) تعليقاً، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٧٤٥)، والحاكم (١/ ٥٤٨) من طرق عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».
قلت: لكن محمد بن إسحاق مدلس، وقد عنعنه في جميع الطرق عنه.

« الفصل الخامس » في أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها

في الصحيحين عن أبي قتادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم الشيء يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ، وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضره إن شاء الله**».

قال أبو قتادة: كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكرهه فلا يحدث به، وليتفل عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر ما رأى، فإنها لا تضره**»(١).

وفي صحيح مسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاث مرات، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً، وليتحول عن جنبه الذى كان عليه**»(٢). ويذكر عن النبى ﷺ أن رجلاً قص عليه رؤيا فقال: خيراً رأيت، وخيراً يكون، وفي رواية: «**خيراً تلقاه، وشراً توقاه، خيراً لنا، وشراً على أعدائنا**»(٣) والحمد لله رب العالمين.

« الفصل السادس » في أذكار الخروج من المنزل

في السنن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «**من قال** -يعنى إذا خرج من بيته- **بسم الله، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت وهديت، وتنحى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى**»(٤) وفي مسند الإمام أحمد: «**بسم الله آمنت بالله، اعتصمت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله**» حديث حسن. وفي السنن الأربع عن أم سلمة قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتى

---

(١) رواه البخاري (١٢/ ٤٣٠)، ومسلم (٢٢٦١).

(٢) رواه مسلم (٢٢٦٢)، وأبو داود (٢/ ٦٠١)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، وابن ماجه (٢/ ٤٥٠)، والحاكم (٤/ ٣٩٢) من طريق الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر.

وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». فوهم في استدراكه على مسلم!

(٣) أخرجه الطبراني والبيهقي في «الدلائل» كما في «الفتح» (١٢/ ٤٣٢) من حديث عبد الله بن زحل به. وقال الحافظ: «ضعيف جداً».

(٤) **حديث صحيح** : وقد سبق تخريجه.

إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: «اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أُضل، أو أزل أو أُزل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل على»[١] قال الترمذى حديث حسن صحيح.

« الفصل السابع » في أذكار دخول المنزل

في صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، فإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[٢].

وفي سنن أبى داود عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إنى أسألك خير المولج وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا. ثم ليسلم على أهله»[٣].

وفي الترمذى عن أنس قال لى رسول الله ﷺ : «يا بنى إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك»[٤] قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

« الفصل الثامن » أذكار دخول المسجد والخروج منه

في صحيح مسلم عن أبى حميد -أو أبى أسيد- قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا دخل

---

(١) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (٥٠٩٤)، والترمذي (٣٤٢٧)، والنسائي (٨/ ٢٦٨)، (٨/ ٢٨٥)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٨٦)، (٨٧)، وابن ماجه (٣٨٨٤)، وأحمد (٦/ ٣٠٦)، والحاكم (١/ ٥١٩) من طريق الشعبي عن أم سلمة مرفوعاً.
قلت: وقد قال ابن المديني: إن الشعبي لم يلق أم سلمة.
وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، وهو من حديث أم سلمة».
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وقال المصنف في «الزاد» (٢/ ٣٣٦): «حديث صحيح».

(٢) أخرجه مسلم (٢٠١٨).

(٣) إسناده منقطع : أخرجه أبو داود (٥٠٩٦) من طريق شريح عن أبي مالك الأشعري مرفوعاً.
وقال أبو حاتم في «المراسيل»: «شريح عن أبي مالك مرسل».

(٤) إسناده ضعيف : أخرجه الترمذي (٢٦٩٨)، وفي سنده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف الحديث.
وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، إذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»[١].

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه إذا دخل المسجد قال: **«أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. فإذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم»**.[٢]

« الفصل التاسع » في أذكـار الأذان

في الصحيحين عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : **«إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»**[٣].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منـزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»**[٤].

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ : **«إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح، قال: لا حول**

---

(١) أخرجه مسلم (٧١٣)، وأبو داود (٤٦٥) والنسائي (٢/ ٥٣)، وابن ماجه (٧٧٢) وهو مخرج في تعليقي على «جلاء الأفهام».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦). وحسنه النووي وابن حجر.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٦)، ومسلم (٤/ ٨٤ نووي)، وأبو داود (٥٢٢)، والترمذي (٢٠٨)، والنسائي (٢/ ٢٣) وابن ماجه (٧٢٠)، وأحمد (٣/ ٦، ٥٣، ٩٣).

(٤) أخرجه مسلم (٨٢٦)، وأبو داود (٥٢٣)، والنسائي (١/ ١١٠)، والترمذي (٣٦١٤)، وأبو عوانة (١/ ٣٣٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٩١)، وأحمد (٢/ ١٦٨)، والبيهقي (١/ ٤٠٩ - ٤١٠) من طرق عن كعب عن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً به. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه، دخل الجنة»[١].

وفي صحيح البخاري عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**»[٢].

وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا. فقال رسول الله ﷺ: «**قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسل تعطه**»[٣].

وفي الترمذى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة**». قالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «**سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة**»[٤]، قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٨٥ نووي)، وأبو داود (٥٢٧) وأبو عوانة في «صحيحه» (١/ ٣٣٩)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٨٦)، والبيهقي في «السنن» (١/ ٤٠٩) من طرق عن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه مرفوعاً به.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١)، وفي «أفعال العباد» (ص ٧٤)، وأبو داود (٥٢٩)، والنسائي (١/ ١١٠-١١١)، والترمذي (٢١١)، وابن ماجه (٧٢٢)، وأحمد (٣/ ٣٥٤)، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٩٣)، والطبراني في «الصغير» (ص ١٤٠)، والبيهقي (١/ ٤١٠)، من طرق عن علي بن عياش قال: حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر به.
وقال الترمذي: «حديث صحيح حسن غريب».

(٣) حديث حسن لغيره: أخرجه أبو داود (٥٢٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٤)، وأحمد (٢/ ١٧٢)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١٦٩٥)، والبيهقي في «الكبرى» (١/ ٤١٠) والبغوي في «شرح السنة» (٤٢٧).

(٤) رواه الترمذي (٣٥٩٤) وفي سنده زيد العمى وهو ضعيف، ويحيى بن يمان العجلي يخطئ كثيرًا وقد تغير. ولكن الحديث صح بلفظ: «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة» أخرجه أحمد (٣/ ١٥٥، ٢٥٤)، وأبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٠٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٢٥-٢٢٦)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٠٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤٢٧)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١٦٩٦)، والبيهقي (١/ ٤١٠). وقال المصنف في «الزاد» (٢/ ٣٥٩): «حديث صحيح».

وفي سنن أبي داود عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ : «**ثنتان لا تردان أو قلما تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً**»[١].

وفي سنن أبي داود عن أم سلمة قالت: علمني رسول الله ﷺ أن أقول عند المغرب: «**اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك، وأصوات دعائك وحضور صلواتك. فاغفر لي**»[٢].

وفي سنن أبي داود عن بعض أصحاب النبي ﷺ أن بلالاً أخذ في الإقامة فلما أن قال: قد قامت الصلاة، قال النبي ﷺ : «**أقامها الله وأدامها**»[٣]. فهذه خمس سنن في الأذان: إجابته، وقول رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، وسؤال الله تعالى لرسوله ﷺ الوسيلة والفضيلة، والصلاة عليه ﷺ والدعاء لنفسه ما شاء.

وعن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً، غفر الله ذنوبه**»[٤].

---

(١) **حديث حسن لغيره** : أخرجه أبو داود (٢٥٤٠)، والدارمي (١/ ٢٧٢)، وابن الجارود في «المنتقى» (١٠٦٥)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١٧٢٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤١٩) والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٩٨)، والطبراني في «الكبير» (٥٧٥٦) من طرق عن سهل بن سعد الساعدي مرفوعاً. وقد ورد الحديث موقوفاً على سهل بن سعد. أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٦١)، ومالك في «الموطأ» (١/ ٧٠/ ٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٢٤)، والطبراني في «الكبير» (٥٧٧٤) وقال ابن عبد البر - فيما نقله عنه الزرقاني (١/ ١٤٦): هذا الحديث موقوف عن جماعة رواه مالك في الموطأ، ومثله لا يقال بالرأي.

وقال الشيخ العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : صحيح موقوفاً، وهو في حكم المرفوع، وقد ثبت مرفوعاً «صحيح الأدب المفرد» (ص ٢٤٧).

(٢) **إسناده ضعيف** : أخرجه أبو داود (٥٣٠)، والترمذي (٣٥٨٩)، والحاكم (١/ ١١٩)، وفي سنده أبو كثير مولى أم سلمة قال الترمذي: لا يعرف.

(٣) **حديث ضعيف** : أخرجه أبو داود (٥٢٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص ٣٦)، والبيهقي (١/ ٤١١) من طريق محمد بن ثابت عن رجل من أهل الشام عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة، أو عن بعض أصحاب النبي ﷺ. وهذا سند واهٍ، محمد بن ثابت هو العبدي ضعيف، ومثله شهر بن حوشب، والرجل الذي بينهما مجهول، والحديث ضعفه النووي والعسقلاني وغيرهما.

(٤) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم (٤/ ٨٦ نووي)، وأبو داود (٥٢٥)، والترمذي (٢١٠)، وابن ماجه (٧٢١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٣)، وأحمد (١/ ١٨١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤٢٢) من طرق عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً.

« الفصل العاشر » في أذكار الاستفتاح

في الصحيحين أن النبي ﷺ كان يقول في استفتاحه: **«اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد»**(١).

وفي سنن أبي داود عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي صلاة قال: **«الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً (ثلاثاً). أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه»** قال: نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة(٢). وفي السنن الأربعة عن عائشة وأبي سعيد وغيرهما أن النبي ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال: **«سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك»**(٣).

وهو في صحيح مسلم عن عمر موقوف عليه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٢٧ فتح)، ومسلم (٥/ ٩٦ نووي)، وأبو عوانة في «صحيحه» (٢/ ٩٨)، وأبو داود (٧٨١)، والنسائي (١/ ٢١)، وابن ماجه (٨٠٥)، وأحمد (٢/ ٢٣١، ٤٩٤).

(٢) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (٧٦٤)، وأحمد (٤/ ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٥)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٢١٠) عن جبير بن مطعم به.
وله شاهد من حديث أبي سعيد عند أحمد (١/ ٥٠) وآخر من حديث عائشة عند أحمد (٦/ ١٥٦).

(٣) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (٧٧٥)، والنسائي (٢/ ١٣٢)، والترمذي (٢٤٢)، وابن ماجه (٨٠٤)، وأحمد (٣/ ٥٠، ٩٦)، وابن خزيمة (٤٦٧)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٣٤) وغيرهم من طرق عن جعفر بن سليمان عن علي الرفاعي عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري به. وقال الترمذي: وقد تكلم في إسناد أبي سعيد كان يحيى بن سعيد يتكلم في علي بن علي الرفاعي، وقال أحمد: لا يصح حديثه، وقال أبو داود: وهذا الحديث يقولون: هو عن علي بن علي عن الحسن مرسلاً، الوهم من جعفر.
وأما حديث عائشة: فرواه أبو داود (٧٧٦)، والحاكم (١/ ٢٣٥) من طريق طلق بن غنام عن عبد السلام بن حرب الملائي عن بديل بن ميسرة عن أبي الجوزاء عن عائشة به.
وقال أبو داود: وهذا الحديث ليس بالمشهور عن عبد السلام بن حرب. لم يروه إلا طلق بن غنام. وقد روى قصة الصلاة عن بديل عن جماعة لم يذكروا فيه شيئاً من هذا.
قلت: قد تكلم بعضهم في سماع أبي الجوزاء من عائشة، وللحديث طرق عن جماعة من الصحابة مثل أنس بن مالك، وابن عمر، وابن مسعود، والحكم بن عمير. وغيرهم.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٩)، وعبد الرزاق (٢٥٥٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١/ ٢٦١)، والحاكم (١/ ٢٣٥) عن الأسود بن يزيد عن عمر به، وهذا إسناد صحيح.

وفي صحيح مسلم عن على بن أبى طالب قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربى وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبى، فاغفر لى ذنوبى جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك. والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك**، وكان إذا ركع يقول في ركوعه **اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعى وبصرى، ومخى وعظمى وعصبي**، وإذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**سمع الله لمن حمده**، ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، وإذا سجد يقول في سجوده: «**اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت. سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين**، وكان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «**اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به منى، إنك أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت**»[١].

وفي صحيح مسلم عن عائشة كان رسول الله ﷺ يفتح صلاته إذا قام من الليل: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم**»[٢].

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «**اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد، أنت قيام السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك**

(١) أخرجه مسلم (٦/ ٥٧) وأبو عوانة، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان، وأحمد، والطبراني، وغيرهم وهو مخرج في كتابي «أذكار الصلاة».

(٢) أخرجه مسلم (٦/ ٥٦ نووي) وكذا أبو عوانة في «صحيحه».

توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت. فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهى لا إله إلا أنت»[١].

« الفصل الحادي عشر » في ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدتين

في السنن الأربعة عن حذيفة رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا ركع: «**سبحان ربى العظيم**» ثلاث مرات، وإذا سجد قال: «**سبحان ربى الأعلى**»[٢] ثلاث مرات.

وفيه حديث على رضي الله عنه، وقد سبق في الفصل قبله بطوله.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لى**»[٣].

وفي صحيح مسلم عنها رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**»[٤].

وفي سنن أبى داود عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»[٥].

وفي صحيح مسلم عن أبى سعيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «**اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت،**

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩)، وأبو عوانة، وأبو داود، وابن نصر في «قدر الصلاة»، وغيرهم وهو مخرج في كتابي المذكور آنفاً.

(٢) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (٨٧١)، والترمذي (٢٦١)، والنسائي (٢/ ١٩٠)، وابن ماجه (٨٨٧)، والطحاوي والطبراني في «الكبير»، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٢٨١)، ومسلم (٤/ ٢٠١).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣) وأبو عوانة. وغيرهما.

(٥) حديث حسن : أخرجه أبو داود (٨٧٣)، والنسائي (٢/ ١٩١، ٢٢٣)، والترمذي في «الشمائل» (٣١٤)، وأحمد (٦/ ٢٤) وغيرهم بسند حسن.
إذ رجاله ثقات ما عدا: عاصم بن حميد ومعاوية بن صالح وهما صدوقان.
وصحح إسناده الألباني في «صفة الصلاة» (ص ١٠٠).

ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[1]. وفي صحيح البخارى عن رفاعة بن رافع ﷺ قال: كنا نصلى يوماً وراء النبى ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: **سمع الله لمن حمده**، فقال رجل من ورائه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. فلما انصرف قال: «**من المتكلم**»؟ قال: أنا يا رسول الله. قال: «**لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول**»[2].

وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»[3]، وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: «**اللهم اغفر لى ذنبى كله، دقه وجله، أوله وآخره، وعلانيته وسره**»[4].

وقالت عائشة ﵂ : افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة. فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[5] روى مسلم هذه الأحاديث.

وفي سنن أبى داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى واجبرنى وعافنى وارزقنى**»[6].

وفي السنن أيضاً عن حذيفة ﷺ وأرضاه أن رسول الله ﷺ كان يقول بين السجدتين: «**رب اغفر لي، رب اغفر لي**»[7].

« الفصل الثاني عشر » في أدعية الصلاة بعد التشهد

في الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا فرغ أحدكم من التشهد**

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٤ نووي)، وأبو داود (٨٣٢)، والنسائي (٢/ ١٩٩)، وأحمد (١/ ٢٧٦، ٣٧٠)، وعبد بن حميد (٦٢٨).
(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٢٨٤)، وأبو داود (١/ ٤٨٨).
(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠)، وأبو عوانة، والبيهقي.
(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠١)، وأبو عوانة.
(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣ نووي)، وأبو عوانة، وأبو داود (١/ ٥٤٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٣٩٥).
(٦) أخرجه ابن ماجه (٨٩٨)، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي.
(٧) أخرجه النسائي (٢/ ٢٣١)، وابن ماجه (٨٩٧)، وأبو داود (٨٧٤)، وسنده حسن.

فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال»[١].

وفيهما أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات. اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم، فقال قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ؟ فقال: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف»[٢].

وقد تقدم في الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ : علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[٣].

وفي صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه في صفة صلاة رسول الله ﷺ وقد تقدم بطوله في الفصل العاشر[٤].

وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال لرجل: «كيف تقول في الصلاة؟» قال: أتشهد وأقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار. أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ : «حولها ندندن»[٥].

وفي المسند والسنن عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن

---

(١) أخرجه مسلم (٥/ ٨٧)، وأبو داود (٩٨٣)، وابن ماجه (٩٠٩)، والنسائي (٣/ ٥٨) وفي «الكبرى» (١٢٣٣)، وأحمد (٢/ ٢٣٧، ٤٧٧)، وابن الجارود في «المنتقى» (٢٠٧)، وابن أبي شيبة (٨/ ٦٤٧)، وابن خزيمة (٧٢١)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١٩٦٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٦٩٤). من طرق عن أبي هريرة مرفوعاً. والحديث بهذا الأمر لم يخرجه الإمام البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٢)، (٦٣٦٦)، ومسلم (٥/ ٨٧)، والنسائي (٣/ ٥٦)، (٤/ ١٠٤ — ١٠٥)، وأحمد (٦/ ٤٤، ٤٥، ٨١، ٨٩، ١٣٩، ١٤٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (ص ٤٠٨ — ٤٠٩)، والآجري في «الشريعة» (٨٩٧)، (٨٩٩)، والطيالسي (١٤١١).

(٣) قد سبق تخريجه.

(٤) قد سبق تخريجه.

(٥) أخرجه أبو داود (١/ ٥٠١)، وابن ماجه وابن خزيمة (١/ ٨٧/ ١) بسند صحيح. وصحح الألباني إسناده في «صفة الصلاة» (ص ١٤٧).

عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب»(١).

وفي سنن النسائي أن عمار بن ياسر صلى صلاة ودعا بدعوات وقال: سمعتهن من رسول الله ﷺ: **«اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني إذا علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»**(٢).

« الفصل الثالث عشر » في الأذكار المشروعة بعد السلام

في صحيح مسلم عن ثوبان ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثاً، وقال: **«اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»**(٣).

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة قال: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»**(٤).

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ١٢٥)، والنسائي (٣/ ٥٤)، والترمذي (٣٤٠٧). من حديث شداد. وفي سنده سعيد الجريري وكان قد اختلط. لكن للحديث شاهد من حديث عائشة: أخرجه ابن ماجه (٢/ ٤٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣/ ١١٠٣)، وأحمد (٦/ ١٣٤)، والحاكم (١/ ٥٢١-٥٢٢)، وابن حبان (٢٤١٣) من طرق عن جبر بن حبيب عن أم كلثوم بنت أبي بكر عن عائشة أن رسول الله ﷺ علمها الدعاء. فذكره. وهذا إسناد صحيح. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي.
وقال الألباني - رحمه الله -: «إسناد صحيح». وشاهد ثان من حديث جابر بن سمرة: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠٥٨)، من طريق قيس بن الربيع عن عائذ بن نصيب قال: سمعت جابر بن سمرة. وقيس سيئ الحفظ، وعائذ بن نصيب وثقه ابن معين وذكره ابن حبان في «الثقات».

(٢) أخرجه النسائي (٣/ ٥٤، ٥٥)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم (٥/ ٨٩)، والنسائي (٣/ ٦٨)، والترمذي (٣٠٠)، وأبو داود (١٥١٣)، وابن ماجه (٧٣٨)، وأحمد (٥/ ٢٧٥، ٢٧٩)، وابن خزيمة (٧٣٧)، (٧٣٨)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٢٠٠٣)، والبيهقي (٢/ ١٨٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٧١٥) وغيرهم من حديث ثوبان.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٣٢٥)، ومسلم (٥/ ٩٠)، وأبو داود (١/ ٢٣٦)، والنسائي (١/ ١٩٧)، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (١١٢)، وأحمد (٤/ ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٥) وغيرهم من حديث المغيرة بن شعبة.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يهلل دبر كل صلاة حين يسلم بهؤلاء الكلمات: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولوكره الكافرون**»(١).

وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**من سبح لله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وقال تمام المائة، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»(٢).

وفي السنن عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: «**خصلتان - أو خلتان - لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، هما يسير، ومن يعمل بهما قليل: يسبح الله في دبر كل صلاة عشراً، ويحمده عشراً، ويكبره عشرًا فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، ويسبح ثلاثاً وثلاثين فذلك مائة باللسان وألف في الميزان**، قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده، قالوا: يا رسول الله، كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل؟ قال: **يأتى أحدكم** -يعنى الشيطان- **في منامه فينومه قبل أن يقولها، ويأتيه في صلاته فيذكره حاجته قبل أن يقولها**»(٣).

وفي السنن عن عقبة بن عامر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة(٤)، وفي النسائي الكبير عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**» يعنى لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا الموت(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٥/ ٩١نووي)، وأبو عوانة (٢/ ٢٤٧)، وأحمد (٢/ ٣٧٣، ٤٨٣)، والبيهقي (٢/ ١٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٥/ ٩٤)، والبيهقي (٢/ ١٨٧)، وأبو عوانة (٢/ ٢٤٧) من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبي عبيد المذحجي عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٣) **حديث صحيح** : أخرجه أبو داود (٥٠٦٥)، والترمذي (٣٤١٠)، والنسائي (٣/ ٧٤)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٨١٣) وأحمد (٢/ ١٦٠، ٢٠٥)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) **حديث صحيح** : أخرجه أبو داود (٢/ ١٨١)، والنسائي (٣/ ٦٨)، والترمذي (٨/ ٢١٥ تحفة) وغيرهم من حديث عقبة بن عامر.

(٥) حديث حسن : أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٠)، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (١٢١)، من حديث أبي أمامة.

« الفصل الرابع عشر » في ذكر التشهد

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: علمني رسول الله ﷺ التشهد -وكفي بين كفيه- كما يعلمني السورة من القرآن: «**التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**»(١).

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن وكان يقول: «**التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله**»(٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أن النبي ﷺ علمهم التشهد: «**التحيات الطيبات والصلوات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**»(٣).

وروى أبو داود عن ابن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ في التشهد: «**التحيات لله والصلوات الطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**»(٤).

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب: أما بعد أمرنا رسول الله ﷺ: «**إذا كان في وسط الصلاة أو حين انقضائها فابدؤوا قبل السلام فقولوا: التحيات والصلوات والملك لله، ثم سلموا على اليمين ثم على قارئكم وعلى أنفسكم**»(٥). وذكر مالك في الموطأ أن عمر كان

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣٢٠)، ومسلم (٤/ ١١٥) وأبو داود (١/ ٥٩١)، وابن ماجه (٨٩٩)، والنسائي (٢/ ٢٣٨)، (٣/ ٤١)، والترمذي (٢/ ١٧١)، وأحمد (١/ ٤٠٨، ٤٣٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٢٥٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» من طرق عن ابن مسعود به.

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٣)، والنسائي (٢/ ٢٣٩) وأبو عوانة (٢/ ٢٤٨-٢٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (٤٠٤). وأبو يعلى (٤/ ٢٧٥)، وابن ماجه، وأبو داود (١/ ٥٩٢)، وأبو عوانة (٢/ ٢٤٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٩٧١)، والدارقطني من طريق شعبة عن أبي بشر سمعت مجاهداً يحدث عن ابن عمر. وهذا سند فيه أبو بشر وهو جعفر بن إياس هو ثقة إلا أنه في روايته عن مجاهد فيها كلام. وقد قيل: إنه لم يسمع منه.

(٥) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (٩٧٥)، من طريق خبيب بن سليمان بن سمرة عن أبيه سليمان ابن سمرة عن سمرة بن جندب مرفوعاً وخبيب بن سليمان وكذا سليمان بن سمرة كلاهما ضعيف.

يعلم الناس التشهد وهو على المنبر يقول: قولوا التحيات لله الزاكيات لله الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[1].

فأى تشهد أتى به من هذه التشهدات أجزأه. وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة إلى تشهد ابن مسعود، وذهب الشافعى إلى تشهد ابن عباس، وذهب مالك إلى تشهد عمر ﷺ، والكل كاف يجزئ.

« الفصل الخامس عشر » في ذكر الصلاة على النبي ﷺ

في الصحيحين عن كعب بن عجرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا. قد عرفنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلى عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد**»[2].

وفى الصحيحين أيضاً عن أبى حميد الساعدى أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلى عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم. إنك حميد مجيد**»[3].

وفي صحيح مسلم عن أبى مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله، كيف نصلى عليك ؟ قال فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله. ثم قال رسول الله ﷺ : «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. والسلام كما قد علمتم**»[4].

---

(١) **إسناده صحيح** : أخرجه مالك في «الموطأ» (ص ٩٠) ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي موقوفاً على عمر بن الخطاب، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٠)، (٤٧٩٧)، (٦٣٥٧)، ومسلم (٤/ ١٢٥)، والحميدي في «مسنده» (١/ ٣٨)، وابن منده (٢/ ٦٨). وقال: «هذا حديث مجمع على صحته».

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٤٠٧ الفتح)، ومسلم (٤/ ١٢٧)، وأبو داود (١/ ٦٠٠).

(٤) أخرجه مسلم (٤٠٥).

وذكر ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن مسعود قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه. قال فقالوا له: فعلمنا: قال: **«قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً يغبطه به الأولون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»**(١).

« الفصل السادس عشر » في الاستخارة

في صحيح البخاري عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: **«إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر -ويسمى حاجته- خير لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به»**(٢).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ أنه قال: **«من سعادة ابن آدم استخارة الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله»**(٣).

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه ابن ماجه (٩٠٦) بسند ضعيف، وهذه الأحاديث مخرجة بتوسع في تعليقي على «جلاء الأفهام» لابن القيم الجوزية.

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٢)، (٦٣٨٢)، (٧٣٩٠)، وفي «الأدب المفرد» (٧٠٣٨)، وأبو داود (١٥٣٨)، والترمذي (٤٨٠)، والنسائي (٦/ ٨٠-٨١)، وابن ماجه (١٣٨٣)، وأحمد (٣/ ٣٤٤)، وابنه عبد الله في «زوائده على المسند» (٣/ ٣٤٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٨٨٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (ص ١٨٣-١٨٤)، والبيهقي (٣/ ٥٢)، والطبراني في «الدعاء» (١٣٠٣)، كلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي الموال عن محمد بن المنكدر عن جابر به.

(٣) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحمد (١/ ١٦٨)، والطبراني في «الدعاء» وغيرهما.
وسنده ضعيف: محمد بن أبي حميد ضعيف.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ يقول. ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وثبت في أمره، وقد قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(آل عمران:١٥٩) وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم.

«الفصل السابع عشر» في أذكار الكرب والغم والحزن والهم

وفي الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم**»[١].

وفي الترمذى عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: «**يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث**»[٢]، وفيه أيضاً عن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال: «**سبحان الله العظيم**» وإذا اجتهد في الدعاء قال: «**يا حي يا قيوم**»[٣].

وفي سنن أبى داود عن أبى بكرة أن رسول الله ﷺ قال: «**دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله، لا إله إلا أنت**»[٤].

وفي السنن أيضاً عن أسماء بنت عميس قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب – أو في الكرب– الله الله ربى لا أشرك به شيئاً**»[٥].

---

(١) قد سبق تخريجه.

(٢) إسناده ضعيف : أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، وفي سنده الرقاشي وهو يزيد بن أبان وهو ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف : أخرجه الترمذي (٣٤٣٦)، وأبو يعلى (٦٥٤٥)، وفي إسناده إبراهيم بن الفضل وهو متروك.

(٤) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٥١)، وابن حبان (٢٣٧٠) وفي إسناده جعفر بن ميمون وهو ضعيف.

(٥) إسناده صالح : أخرجه أبو داود (١٥٢٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٤٧)، (٦٤٨)، (٦٤٩)، وابن ماجه (٣٨٨٢)، وفي إسناده هلال مولى عبد العزيز ويكنى أبو طعمة: وثقه أبو عمار الموصلي وقد رماه مكحول بالكذب ولكن قال الحافظ رحمه الله: لم يكذبه مكحول التكذيب الاصطلاحي، وإنما روى الوليد بن مسلم عن ابن جابر أن أبا طعمة حدث مكحولاً بشيء، وقال ذروه يكذب، هذا محتمل أن يكون مكحول طعن فيه على من فوق أبا طعمة، والله أعلم.

وفي رواية أنها تقال سبع مرات، وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له»(١). وفي رواية: «إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس عليه السلام».

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجًا»(٢).

« الفصل الثامن عشر » في الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والأذى

قال الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح ﷺ ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ (نوح:١٠-١٢) وفي بعض المسانيد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»(٣).

وذكر أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد» له حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة أبداً»(٤).

---

(١) حديث صحيح: وقد سبق تخريجه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣٩١)، وابن حبان (٢٣٧٢)، والحاكم (١/ ٥٠٩)، والحارث بن أسامة في «مسنده» (ص ٢٥١ - من زوائده) من طرق عن فضيل بن مرزوق حدثنا أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله به. وانظر الصحيحة (١/ ٣٨٣-٣٨٧).
وفي نهاية البحث قال: وجملة القول: إن الحديث صحيح من رواية ابن مسعود وحده، فكيف إذا انضم إليه حديث أبي موسى رضي الله عنهما؟! وقد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم. اهـ.

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (١٥١٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٥٦)، وابن ماجه (٣٨١٩)، وأحمد (١/ ٢٤٨). وفي إسناده الحكم بن مصعب وهو ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف: أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٨٣). وفي سنده أبو شجاع وهو مجهول.

« الفصل التاسع عشر » في الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف سلطانًا وغيره

في سنن أبي داود والنسائي عن أبي موسى أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: **«اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم»**[١].

ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند لقاء العدو: **«اللهم أنت عضدي وأنت ناصري وبك أقاتل»**[٢]. وعنه ﷺ أنه كان في غزوة فقال: **«يا مالك يوم الدين إياك أعبد وإياك أستعين»** قال أنس: فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها[٣].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا خفت سلطاناً أو غيره فقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، لا إله إلا أنت عز جارك، وجل ثناؤك»**[٤].

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ (آل عمران:١٧٣)[٥].

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحمد (٤/ ٤١٤)، وأبو داود (١٥٣٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٠١). وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٢٥) من طريق قتادة عن أبي بردة عن عبد الله بن قيس مرفوعاً.
ففي الحديث علة تمنع من تصحيحه، وهي عنعنة قتادة، فإنه مدلس فقد أورده في «المدلسين» الحافظ برهان الدين الحلبي في «التبيين لأسماء المدلسين» وقال: إنه مشهور بالتدليس وكذا قال الحافظ رحمه الله في «طبقات المدلسين»، وزاد: وصفه به النسائي وغيره وأورده الحافظ في «المرتبة الثالثة» وهي التي خصها كما قال في «المقدمة»: بـ «من أكثر من التدليس، فلم يحتج به الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع، ومنهم من رد حديثهم مطلقاً، ومنهم من قبلهم».
وقال يحيى بن معين: «لا أعلمه - أي قتادة - سمع من أبي بردة شيئاً».

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٢٣)، وأحمد (٣/ ١٨٤)، والترمذي (٣٥٨٤)، من طريق المثنى بن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعاً، ورجاله ثقات.

(٣) **إسناده ضعيف**: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٦)، وفي إسناده عبد السلام بن هاشم، وحنبل بن عبد الله وكلاهما ضعيف.

(٤) **إسناده ضعيف**: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٧)، محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني وأبوه كلاهما ضعيف. قال ابن طاهر: «وابن البيلماني له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها».

(٥) أخرجه البخاري (٤٥٦٣) وغيره.

« الفصل العشرون » في الأذكار التي تطرد الشيطان

قد تقدم أن من قرأ آية الكرسي عند نومه لم يقربه شيطان، وأن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه، ومن قال في يوم مائة مرة، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له حرزاً من الشيطان يومه كله، وقد قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ (المؤمنون:٩٧-٩٨).

وكان النبي ﷺ يقول: «**أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه**»[١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ (فصلت:٣٦).

والأذان يطرد الشيطان كما تقدم، وعن زيد بن أسلم أنه ولى معادن فذكروا كثرة الجن فأمرهم أن يؤذنوا كل وقت ويكثروا من ذلك، فلم يكونوا يرون بعد ذلك شيئاً.

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص ﷺ أنه قَالَ: يا رَسُول الله، إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي، فقال رَسُولُ الله ﷺ: «**ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً ففعلت ذلك، فأذهبه الله ﷻ عني**»[٢].

وأمر ابن عباس رجلاً وجد في نفسه شيئاً من الوسوسة والشك أن يقرأ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد:٣).

ومن أعظم ما يندفع به شره قراءة المعوذتين وأول الصافات وآخر الحشر.

« الفصل الحادي والعشرون » في الذكر الذي تحفظ به النعم، وما يقال عند تجردها

قال الله سبحانه وتعالى في قصة الرجلين: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (الكهف:٣٩) فينبغي لمن دخل بستانه أو داره أو رأى في ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر إلى هذه الكلمة، فإنه لا يرى فيه سوءاً.

---

(١) حديث صحيح: وقد سبق تخريجه.
(٢) أخرجه مسلم (١٤/ ١٨٩ مع النووي).

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ومال وولد فقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ فيرى فيها آفة دون الموت»[1].

وعنه ﷺ أنه كان إذا رأى ما يسره قال: «الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات» وإذا رأى ما يسوؤه قال: «الحمد لله على كل حال»[2].

« الفصل الثاني والعشرون » في الذكر عند المصيبة

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة:١٥٥-١٥٧). ويذكر عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «وليسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فإنها من المصائب»[3].

---

(١) إسناده ضعيف : رواه أبو يعلى في «مسنده» من طريق عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارة عن أنس مرفوعاً. وقال الأزدي: عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة لا يصح حديثه وانظر «الميزان» للذهبي.

(٢) إسناده ضعيف : أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣)، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٣٧٨). والحاكم (١/ ٤٩٩)، من طريق الوليد بن مسلم عن زهير بن مسلم عن منصور بن عبد الرحمن عن أمه صفية بنت شيبة عن عائشة به، وزهير بن مسلم هو التميمي الخراساني ثم الشامي قال الحافظ في «التقريب»: «رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة، فضعف بسببها، قال البخاري عن أحمد: كأن زهيراً الذي يروي عنه الشاميون آخر! وقال أبو حاتم: حدث بالشام من حفظه فكثر غلطه». اهـ.

قلت: وهذا منها لأن الراوي عنه الوليد بن مسلم من الشام، ثم هو يدلس تدليس التسوية، وهو شر أنواع التدليس، وصورته أن يجيء المدلس إلى حديث سمعه من شيخ ثقة، وقد سمعه ذلك الشيخ الثقة من شيخ ضعيف، وذلك الشيخ الضعيف يرويه عن شيخ ثقة، فيعمد المدلس الذي سمع الحديث من الثقة الأول، فيسقط منه شيخ شيخه الضعيف، ويجعله من رواية شيخه الثقة، عن الثقة الثاني، بلفظ محتمل، كالعنعنة ونحوها، فيصير الإسناد كله ثقات، ويصرح هو بالاتصال بينه وبين شيخه، لأنه قد سمعه منه، فلا يظهر حينئذ في الإسناد ما يقتضي عدم قبوله، إلا لأهل النقد والمعرفة بالعلل.

كذا في «شرح علوم الحديث» للعراقي (ص ٧٨)، وقد عنعنه فهذه علة أخرى.

ومن هذا تعلم خطأ كل من: الحاكم عند قوله: «صحيح الإسناد».

البوصيري في «الزوائد» قوله: «إسناده صحيح، ورجاله ثقات». وقول النووي في «الأذكار»: «رواه ابن ماجه وابن السنى بإسناد جيد».

(٣) أخرجه ابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٤).

وحسن إسناده الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٢٤).

وقالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيراً منها قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه، رسول الله ﷺ»[١].

وروى أيضاً عنها رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر -فضج ناس من أهله- فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره ونور له فيه»[٢].

« الفصل الثالث والعشرون » في الذكر الذي يدفع به الدين ويرجى قضاؤه

في الترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه أن مكاتباً جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعني، فقال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً إلا أداه الله عنك، قل: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك»[٣]. وقال الترمذي حديث حسن.

« الفصل الرابع والعشرون » في الذكر الذي يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرها

في صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما، ويقول: «إن أباكما إبراهيم كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٦/ ٢٢٢).

(٣) حديث حسن : أخرجه الترمذي (٣٥٥٨)، وأحمد (١/ ١٥٣)، والحاكم (١/ ٥٣٨)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ١٢٨٣). من طريق عبد الرحمن بن إسحاق القرشي عن سيار أبي الحكم عن أبي وائل عن علي به، وعبد الرحمن بن إسحاق القرشي الظاهر أنه حسن الحديث.

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٤٠٨).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رقى لديغًا بفاتحة الكتاب فجعل يتفل عليه ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة ... الحديث(١).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء أو كانت قرحة به أو جرح قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا - ووضع سفيان بن عيينة إصبعه بالأرض ثم رفعها - وقال: «**بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى به سقيمنا، بإذن ربنا**»(٢).

وفي الصحيحين أيضاً عنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»(٣).

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص ﷺ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال النبي ﷺ: «**ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل: بسم الله -ثلاثًا- وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»(٤).

وفي السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يشفيك ويعافيك، إلا عافاه الله تعالى**»(٥).

وفي سنن أبي داود والنسائي عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٧) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٤/ ١٨٧).

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٢٠٦)، ومسلم (١٤/ ١٨٤)، وأبو داود (٣٨٩٥)، وابن ماجه (٣٥٢١)، وأحمد (٦/ ٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٥٠)، ومسلم (٢١٩١)، والنسائي في «الكبرى» (٧٥٤٥)، وأحمد (٦/ ٥٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٤/ ١٨٩)، وأبو داود (٣٧٤٢) والنسائي في «الكبرى» (٧٥٤٦)، والترمذي (٢٠٨٠)، وابن ماجه (٣٥٢٢).

(٥) أخرجه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٤٣)، (١٠٤٤) وفي مواضع أخرى من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما به.

السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ»[1].

« الفصل الخامس والعشرون » في ذكر دخول المقابر

في صحيح مسلم عن بريدة قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[2].

وفي سنن ابن ماجه عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ فإذا هو بالبقيع فقال: «السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين، أنتم لنا فرط وإنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم»[3].

« الفصل السادس والعشرون » في ذكر الاستسقاء

قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ (نوح:١٠، ١١). عن جابر بن عبد الله قال: أتت النبي ﷺ بواك فقال: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، مرئياً مريعاً، نافعاً غير ضار، عاجلا غير آجل فأطبقت عليهم السماء»[4].

وعن عائشة: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوماً يخرجون فيه فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله عز وجل ثم قال: «إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله سبحانه وتعالى أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغنى ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٣٧)، وفي سنده زيادة بن محمد وهو ضعيف الحديث.

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٥)، والنسائي (٤/ ٩٤).

(٣) حديث صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٥٤٦)، والنسائي (٤/ ٩١)، وفي سنده عاصم بن عبيد. قال الهيثمي والحافظ ضعيف. ولكن للحديث شواهد يصح بها.

(٤) أخرجه أبو داود (١١٦٩)، والحاكم (١/ ٣٢٧)، والبيهقي (٣/ ٣٥٥).
وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

أنزلت علينا قوة وبلاغاً إلى حين» ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه ثم حول إلى الناس ظهره، وقلب أو حول رداءه وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس فنزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله ﷻ سحابة فرعدت وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله تعالى، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «**أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله**»[١].

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو: كان رَسُولُ الله ﷺ إذا استسقى قَالَ: «**اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحيي بلدك الميت**»[٢].

وقال الشعبي: خرج عمر يستسقي، فلم يزد على الاستغفار، فقالوا: ما رأيناك استسقيت، فقال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنـزلون بها المطر، ثم قرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾(نوح:١٠، ١١) ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(هود:٣) الآية[٣].

« الفصل السابع والعشرون » في أذكار الريح إذا هاجت

قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الريح من روح الله تعالى، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، واسألوا الله من خيرها، واستعيذوا بالله من شرها**» رواه أبو داود[٤].

وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «**اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به**»[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (١١٧٣)، وأحمد (٣/ ١٤١، ١٥٣)، وأبو يعلى (٢/ ١٦٥) وابن حبان (٦٠٤ موارد)، والحاكم (١/ ٣٢٨)، وهذا حديث حسن. والله أعلم.

(٢) إسناده حسن : أخرجه أبو داود (١١٧٦)، والبيهقي (٣/ ٢٥٦) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً. وهذا سند حسن.

(٣) إسناده ضعيف : أخرجه البيهقي (٣/ ٣٥١، ٣٥٢) من طريق الشعبي عن عمر به. والشعبي لم يسمع من عمر.

(٤) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (٥٠٩٧)، وابن ماجه (٣٧٢٧) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٢٩)، (٩٣١)، من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه مسلم (٦/ ١٩٦) من حديث عائشة مرفوعاً.

وفي سنن أبى داود عن عائشة أيضاً رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا رأى ناشئاً في أفق السماء ترك العمل- وإن كان في صلاة- ثم يقول: «**اللهم إنى أعوذ بك من شرها**» فإن مطرت قال: «**اللهم صيباً هنيئاً**»(١).

« الفصل الثامن والعشرون » في الذكر عند الرعد

كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال: سبحان الذي ﴿يُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾(الرعد:١٣)(٢).

وعن كعب أنه قال: من قال ذلك ثلاثاً عوفي من ذلك الرعد، وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: «**اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك**»(٣).

« الفصل التاسع والعشرون » في الذكر عند نزول الغيث

في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنى قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بى مؤمن بالكواكب**»(٤).

وقد قيل: إن الدعاء عند نزول الغيث مستجاب، وفي صحيح البخارى عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا رأى المطر قال: «**صيباً نافعاً**»(٥)، وفي صحيح مسلم

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه أبو داود (٥٠٩٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩١٧)، (٩١٨)، وفي مواضع أخرى، وابن ماجه (٣٨٨٩) من حديث عائشة.

(٢) **صحيح موقوفاً** : أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٣) بسند صحيح.

(٣) **إسناده ضعيف** : أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٢٧)، (٩٢٨)، والترمذي (٣٤٥٠). وفي سنده أبو مطر وهو ضعيف.

(٤) أخرجه البخاري (٨٤٦)، (١٠٣٨)، (٤١٤٧)، (٧٥٠٣)، ومسلم (٧١). وغيرهما من حديث زيد بن خالد الجهني.

(٥) أخرجه البخاري (١٠٣٢).

عن أنس ﷺ قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه المطر، فقلنا: يا رسول الله، لِمَ صنعت هذا؟ قال: «**لأنه حديث عهد بربه**»[(١)].

« الفصل الثلاثون » في الذكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها

في الصحيحين عن أنس قال: دخل رجل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب الناس فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**» قال أنس: والله ما نرى في السماء سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بنيان ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس ستاً، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر**» قال فأقلعت. وخرجنا نمشي في الشمس[(٢)].

« الفصل الحادي والثلاثون » في الذكر عند رؤية الهلال

عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: «**الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ١٩٥ مع النووي).

(٢) حديث صحيح : أخرجه أبو يعلى (٢/ ٢٦٤-٢٦٥)، وأحمد (٣/ ٢٧١، ٢٤١)، وأصله في البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧). وغيرهم من طرق عن أنس بن مالك.

(٣) إسناده ضعيف : أخرجه الدارمي (٢/ ٣-٤)، وابن حبان كما في «موارد الظمآن» (٢٣٧٤)، الطبراني في «الكبير» (١٣٣٣٠) من طريق عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم الحاطبي قال حدثني أبي عن أبيه وعمه عن ابن عمر مرفوعاً. قلت: وهذا سند ضعيف. عثمان بن إبراهيم قال أبو حاتم: روى عن أبيه أحاديث منكرة. وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٣٩): «وعثمان بن إبراهيم الحاطبي فيه ضعف».
وابنه عبد الرحمن بن عثمان قال الذهبي: «مُقل، ضعفه أبو حاتم الرازي»، وذكره ابن حبان في «الثقات».
وأخرجه الترمذي (٣٤٤٧)، وأحمد (١/ ١٦٢)، وأبو يعلي في «مسنده» (١/ ١٩١)، والدارمي (٢/ ٤). وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٦٣٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٧٦)، والحاكم (٤/ ٢٨٥) والعقيلي (١٨٢) من طريق سليمان بن سفيان قال: حدثني بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده مرفوعاً. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». =

وفي سنن أبي داود عن قتادة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «**هلال خير ورشد، هلال خير ورشد، آمنت بالله الذي خلقك**» ثلاث مرات. ثم يقول: «**الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا**»[١].

« الفصل الثاني والثلاثون » في الذكر للصائم وعند فطره

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى**[*] **يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم**»[٢] رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وروى ابن ماجه

= وقال العقيلي في -سليمان هذا -: «لا يتابع عليه»، وقال ابن معين: «ليس بثقة».
ثم قال العقيلي: «وفي الدعاء لرؤية الهلال أحاديث، كأن هذا من أصلحها إسناداً. كلها لينة الأسانيد». اهـ.

(١) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (٥٠٩٢)، من طريق قتادة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال - فذكره-. ومراسيل قتادة ضعيفة.
وقال السيوطي في «التدريب» (١/ ٣٠٥): «وكان يحيى بن سعيد لا يرى إرسال قتادة شيئاً، ويقول هو بمنزلة الريح»، وقتادة لم يسمع من أحد من الصحابة غير أنس بن مالك: قال الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص ١١١): «فليعلم صاحب الحديث أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة .. وأن قتادة لم يسمع من صحابي غير أنس». اهـ.
وقال ابن التركماني في «الجوهر النقي»: قلت: روى ابن أبي حاتم عن حرب بن إسماعيل عن ابن حنبل قال: ما أعلم قتادة روى عن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا عن أنس. اهـ.

(*) في الأصل وغيره: «حين». قال النووي رحمه الله: الرواية: «حتى». اهـ.
نقلاً عن الألباني «الكلم الطيب» ص (١٣٩).

(٢) حديث حسن: أخرجه الترمذي (٢/ ٢٥٦)، ومدار الحديث على أبي مُدلّة، وقد قال ابن المديني: «مجهول»، وقال الذهبي: «لا يكاد يعرف». والحديث أخرجه أيضاً ابن ماجه (١٧٥٢)، وأحمد (٢/ ٣٠٥)، وابن حبان (٢٤٠٧)، (٢٤٠٨).
وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة يحسن بها الحديث وغيره منها: ما أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، والخطيب البغدادي في «التاريخ» (١٢/ ٣٨٠-٣٨١) من طريق زيد بن سلام عن عبد الله بن زيد الأزرق عن عقبة بن عامر الجهني قال: قال النبي ﷺ: «**ثلاثة تستجاب دعوتهم: الوالد، والمسافر، والمظلوم**».
وهذا سند رجاله ثقات غير عبد الله بن زيد الأزرق، أورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٢/ ٥٢) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في «الثقات» فهو معروف بتوثيق المجاهيل.
وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٢)، (٤٨١)، وأبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (٢/ ٢٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٨، ٣٤٨، ٤٧٨، ٥١٧، ٥٢٣)، وابن حبان (٢٤٠٦)، والطيالسي (٢٥١٧) من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي جعفر عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم**». =

عن ابن أبى مليكة عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد**»(١).

قال ابن أبى مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما إذا أفطر يقول: اللهم إنى أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي.

ويذكر عن النبى ﷺ أنه كان إذا أفطر قال: «**اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت**»(٢). ومن وجه آخر: «**اللهم لك صمنا، وعلى رزقك أفطرنا، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم**»(٣).

« الفصل الثالث والثلاثون » في أذكار السفر

وروى الطبرانى عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفراً**»(٤).

= وقال الترمذي: «حديث حسن، وأبو جعفر الرازي هذا الذي روى عنه يحيى بن أبي كثير يقال له: أبو جعفر المؤذن، وقد روى عنه يحيى بن أبي كثير غير حديث». ا.هـ. وأبو جعفر هذا ضعيف.
وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٩٩). من طريق البخاري: ثنا عبد الله بن أبي الأسود بن أبي الأسود ثنا حميد بن الأسود ثنا عبد الله بن سعيد عن شريك بن أبي نمير عن عطاء بن يسار قال: سمعت أبا هريرة عن النبي ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعاؤهم: الذاكر الله كثيراً، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط**». وحميد بن الأسود قال الحافظ: «صدوق يهم قليلاً». وبهذا يصير الحديث حسناً لأن الطرق ليست شديدة الضعف.

(١) إسناده ضعيف: أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣)، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٤٧٥) والحاكم (١/ ٤٢٢). وفي سنده إسحاق بن عبيد الله لا يعرف كما قال الذهبي في «الميزان» والمنذري في «الترغيب». ولذلك أشار المؤلف في «الزاد» (٢/ ٥١) إلى تضعيف الحديث حيث قال: «ويذكر عنه ﷺ».

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (٢٣٥٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ١٨١/ ٢) وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٤٧٣)، والبيهقي (٤/ ٣٣٩)، من طريق معاذ بن زهرة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان يقول.. فذكره. قلت: والحديث مع إرساله فيه جهالة معاذ، فإنهم لم يذكروا له راوياً عنه سوى حصين ابن عبد الرحمن، وأورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ١/ ٢٤٨). ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً. ولذلك أشار المؤلف إلى تضعيف الحديث.

(٣) إسناده ضعيف جداً: رواه ابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٤٨٠)، والدارقطني (٢/ ١٨٥) وفي سنده عبد الملك بن هارون، قال الذهبي في «الضعفاء»: تركوه، وهارون بن عنترة قال ابن حبان في «الضعفاء»: منكر الحديث جداً، يروى المناكير الكثيرة حتى يسبق إلى القلب أنه المتعمد لها، لا يجوز الاحتجاج به بحال. وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١٥٦): «رواه الطبراني في «الكبير» وفيه عبد الملك ابن هارون وهو ضعيف»، وقال المؤلف في «الزاد» (٢/ ٥١): «لا يثبت».

(٤) إسناده ضعيف: أخرجه الخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٢٠-٢٢١). عن موسى بن أبي موسى عن ابن أبي شيبة عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن المطعم بن المقدام مرفوعاً. وهذا سند ضعيف رجاله كلهم ثقات لكنه مرسل.

وفي مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**من أراد سفراً فليقل لمن يخلف أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه**»(١).

وفي المسند أيضاً عن عمر عن النبى ﷺ قال: «**إن الله إذا اسْتُودِع شيئاً حفظه**»(٢).

وقال سالم: كان ابن عمر يقول للرجل إذا أراد سفراً: ادن منى أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا، فيقول: «**أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**» ومن وجه آخر كان النبى ﷺ إذا ودع رجلاً أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذى يدع يد النبى ﷺ، وذكر تمام الحديث. قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وقال أنس ﷺ جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أريد سفراً فزودنى. فقال: «**زودك الله التقوى**» قال زدنى. قال: «**وغفر ذنبك**» قال: زدنى، قال: «**ويسر لك الخير حيث ما كنت**»(٣). قال الترمذي: حديث حسن.

---

(١) **إسناده ضعيف** : أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٨)، وابن ماجه (٢٨٢٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥١٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٦)، والمحاملي في «الدعاء» (٧)، من طرق عن الحسن بن ثوبان أنه سمع موسى بن وردان عن أبي هريرة به، وهذا سند ضعيف موسى بن وردان ضعيف من قبل حفظه.

(٢) **حديث ضعيف** : أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٣ تحفة)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٥٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٤٢)، (٢/ ٩٧) من طرق عن حنظلة بن أبي سفيان عن القاسم بن محمد عن سالم عن أبيه، وأخرجه أحمد (٧١٢)، والترمذي (٣٤٤٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٢٧)، والمحاملي في «الدعاء» (٣) من طرق عن سعيد بن خثيم عن حنظلة بن سفيان عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر وهذا إسناد شاذ لأن سعيد بن خثيم -وإن كان صدوقاً إلا أنه يخطئ- وقد خولف في إسناد هذا الحديث فخالفه، الوليد بن مسلم، وإسحاق بن سليمان كلاهما عن حنظلة وقد سبق تخريجه. والأصح روايتهما، والله أعلم. وللحديث طرق أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) **إسناده ضعيف** : أخرجه الترمذي (٣٤٤٤)، وابن خزيمة (٢٥٣٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٣)، والحاكم (٢/ ٩٧) من طريق سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس به. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». قلت: فيه سيار بن حاتم، قال الحاكم أبو أحمد: «في حديثه بعض المناكير»، وقال العقيلي: «أحاديثه مناكير»، وضعفه ابن المديني. وللحديث طريق آخر عن أنس بن مالك ﷺ أخرجه الدارمي (٢/ ٢٨٦)، وابن السنى (٥٠٤) والطبراني في «الدعاء» (٨١٧)، والمحاملي في «الدعاء» (٩) من طريق سعيد بن أبي كعب العبدي حدثنا موسى بن ميسرة العبدي عن أنس ﷺ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إني أريد سفراً، فأوصني، قال له النبي ﷺ: «متى؟» قال: غداً إن شاء الله. قال: ثم أتاه، فأخذ النبي ﷺ بيده، وقال له: «**وحفظ الله وكنفه، زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ووجهك في الخير حيث ما كنت**». الحديث. =

وعن أبى هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله، إنى أريد أن أسافر فأوصنى. قال: **«عليك بتقوى الله عز وجل والتكبير على كل شرف»**، فلما ولى الرجل قال: **«اللهم اطو له البعد، وهون عليه السفر»**[١]. قال الترمذي حديث حسن.

« الفصل الرابع والثلاثون » في ركوب الدابة والذكر عنده

قال على بن ربيعة: شهدت على بن أبي طالب ﷺ أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله. فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ (الزخرف:١٣-١٤).

ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك. فقيل. يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟ فقال: رأيت النبى ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك، فقلت: يا رسول الله من أي شيء ضحكت؟ فقال: **«إن ربك سبحانه وتعالى يعجب من عبده إذا قال: اغفر لى ذنوبى، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيرى»**[٢]. رواه أهل السنن وصححه الترمذى.

= قلت: وموسى بن ميسرة قال الحافظ في «التقريب»: مستور، وسعيد بن أبي كعب: لم أقف له على ترجمة لكن الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ١/ ٥٧)؛ ترجم لراوٍ اسمه سعيد بن أبي كعب ونسبه إلى البصرة. ثم قال: روى عن راشد الحماني، وروى عنه محمد بن عقبة السدوسي، سمعت أبي يقول ذلك وسألته عنه؟ فقال: شيخ». وللحديث شواهد عن جماعة من الصحابة يصير بها حسناً، والله أعلم.

(١) إسناده حسن : أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٥، ٣٣١، ٤٤٣، ٤٧٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٩)، والترمذي (٣٤٤٥)، وابن ماجه (٢٧٧١)، وابن حبان كما «في موارد الظمآن» (٢٣٧٨)، (٢٣٧٩) وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٢)، والحاكم (١/ ٤٤٥)، (٢/ ٤٧٦)، والبيهقي (٥/ ٢٥١)، من طريق: أسامة بن زيد الليثي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة به.
وأسامة بن زيد حسن الحديث. قال الترمذي: «هذا حديث حسن»، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». قلت: أسامة بن زيد لم يخرج له مسلم إلا استشهاداً.

(٢) حديث حسن : أخرجه الإمام أحمد (١/ ٩٧، ١١٥، ١٢٨)، وأبو داود (٢٦٠٢) والترمذي (٣٤٤٦)، والنسائي في «الكبرى»، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٤٩٧)، وابن حبان كما في «موارد الظمآن» (٢٣٨١)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٧٨٢)، وأبو يعلى (٥٦٨)، والبزار (٧٧٣) والطيالسي (١٣٢)، والطبراني في «الدعاء» (٧٨١)، (٧٨٢)، (٧٨٣)، (٧٨٤)، (٧٨٥)، والحاكم (٢/ ٩٨-٩٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٣٥٢)، والمحاملي في «الدعاء» (١٣)، (١٤)، (١٥)، (١٦)، (١٧)، (١٨) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة به، وله شاهد عن ابن عمر سيأتي.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً، ثم قال: « ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ **اللهم نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا واطو عنا بُعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل**». وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**»[1].

وفي وجه آخر: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إذا علو الثنايا كبروا، وإذا هبطوا سبحوا[2].

« الفصل الخامس والثلاثون » في ذكر الرجوع من السفر

قال عبد الله بن عمر: كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو اعتمر يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث مرات ثم يقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**»[3]. رواه البخاري ومسلم.

« الفصل السادس والثلاثون » في الذكر على الدابة إذا استصعبت

قال يونس بن عبيد: ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول في أذنها: ﴿أَفَغَيْرَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٥٠)، ومسلم (٩/ ١١٠)، وأبو داود (٢٥٩٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٥٢)، والترمذي (٣٤٤٧) والمحاملي (٢٢) من طريق ابن جريج أخبرني أبو الزبير أن علياً الأزدي أخبره أن ابن عمر.. فذكره.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ١٣٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٤٦) والدارمي (٢/ ٢٨٨)، والطبراني في «الدعاء» (٨٥١)، والمحاملي في «الدعاء» (٤٩)، (٤٠)، من طرق عن حصين ابن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا هبطنا سبحنا.

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٨٨)، ومسلم (٩/ ١١٢)، وأحمد (٢/ ٥، ١٥، ٢١، ٣٨، ٦٣)، وأبو داود (٢٧٧٠)، والترمذي (٩٥٠)، (٣٤٤٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٥٢)، والدارمي (٢/ ٢٩٠)، ومالك في «الموطأ» (١/ ٤٢١)، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٥٢٠)، وابن حبان كما في «موارد الظمآن» (٩٦٩)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٨٠)، والمحاملي في «الدعاء» (٦٥)، (٦٦)، (٦٧)، (٦٨)، (٦٩)، (٧٠)، (٧١)، (٧٢)، (٧٣)، (٧٤)، (٧٥)، من طرق عن ابن عمر به.

دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ (آل عمران:٨٣) إلا وقفت بإذن الله تعالى.

قال شيخنا -قدس الله روحه-: وقد فعلنا ذلك فكان كذلك.

« الفصل السابع والثلاثون » في الدابة إذا انفلتت وما يذكر عند ذلك

عن ابن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: **يا عباد الله احبسوا، فإن لله عز وجل حاضراً سيحبسه**»[١].

« الفصل الثامن والثلاثون » في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها

عن صهيب ﷺ أن النبي ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: **«اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها»**[٢]. رواه النسائي.

« الفصل التاسع والثلاثون » في ذكر المنزل يريد نزوله

قالت خوله بنت حكيم ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من نزل منزلا ثم قال:**

---

(١) إسناده ضعيف : أخرجه الطبراني (١٠٥١٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥١٠)، وفي سنده معروف بن حسان وهو ضعيف وفي الحديث علل أخرى قد بينتها في غير هذا الموضع.

(٢) حديث صحيح : أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٤٨)، وابن خزيمة (٢٥٦٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٢٩)، والحاكم (١/ ٤٤٦)، وابن حبان كما في «الموارد» (٢٣٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٩)، وفي «الدعاء» (٧٣٨)، والبيهقي (٥/ ٢٥٢)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٣١٢)، (٣/ ٢١٥)، والدولابي في «الكنى» (١/ ٢٥) والمحاملي في «الدعاء» (٤٤)، (٤٥)، (٤٦) من طرق عن موسى بن عقبة عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه أن كعب الأحبار حدثه أن صهيباً حدثه أن رسول الله ﷺ لم يكن يرى قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها، فذكره.
وأبو مروان الأسلمي مجهول العين. لكن الإمام النسائي رواه في «عمل اليوم والليلة» (٥٤٧): أخبرنا محمد بن نصر حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال، حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه عن كعب الأحبار عن صهيب به.
قلت: وهذا إسناد صحيح.

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»[١]. رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: «يا أرض ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك، وأعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد». رواه أبو داود[٢].

« الفصل الأربعون » في ذكر الطعام والشراب

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة:١٧٢).

وقال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني، سم الله تعالى وكل بيمينك، وكل مما يليك»[٣] متفق عليه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٣٤٨)، (٣٥١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٦٤)، (٥٦٥) والترمذي (٣٤٣٧)، وابن ماجه (٣٥٤٧)، وأحمد (٦/ ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٠٩)، ومالك (ص ٧٤٥)، وعبد الرزاق (٩٢٦٠)، (٩٢٦١) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٢٨)، وابن خزيمة (٢٥٦٦)، (٢٥٦٧)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٢٥٣)، وفي «الأسماء والصفات» (٤٠٢)، وفي «الاعتقاد» (ص ٨٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ٦٥)، والدارمي (٢٦٨٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ رقم ٦٠٣، ٦٠٨)، وفي «الدعاء» (٨٣٠)، (٨٣٣)، والمحاملي في «الدعاء» (٥١)، (٥٢) وغيرهم.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ١٣٢)، (٣/ ١٢٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٦٨)، وأبو داود (٢٦٠٣)، وابن خزيمة (٢٥٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٤٧) (٢/ ١٠٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٢٥٣) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٢٤٧)، والمحاملي في «الدعاء» (٥٣)، (٥٤)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٩/ ٣٣٢) من طريق شريح بن عبيد عن الزبير بن الوليد عن ابن عمر به.
قلت: وفي سنده من لا يعرف، فالزبير بن الوليد ما روى عنه إلا شريح بن عبيد. وقال النسائي: «الزبير بن الوليد: شامي، ما أعرف له غير هذا الحديث». وقال الحافظ في «التقريب»: «مقبول».
وقال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في تعليقه على صحيح ابن خزيمة: «الزبير بن الوليد مجهول كما أفاده الذهبي». وقال في «تمام المنة» (ص ٣٢٣): في إسناده من لا يعرف وبيانه في «الضعيفة» (٤٨٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٥٢١)، ومسلم (١٣/ ١٩٢)، وقال المصنف في «الزاد» (٢/ ٣٦٢): «والصحيح وجوب التسمية عند الأكل، وهو أحد الوجهين لأصحاب أحمد وأحاديث الأمر بها صحيحة صريحة ولا معارض لها، ولا إجماع يسوغ مخالفتها ويخرجها عن ظاهرها، وتاركها شريكة الشيطان في طعامه وشرابه». اهـ.
وهنا مسألة يجب أن يتفطن لها وهي أن الآكلين إذا كانوا جماعة، فسمى أحدهم، هل تزول مشاركة الشيطان لهم في طعامهم بتسميته وحده؟ أم لا تزول إلا بتسمية الجميع؟ الصحيح أنه يجب على كل واحد أن يسمى، وانظر لتحرير هذه المسألة «الزاد» (٢/ ٣٦٢-٣٦٣).

وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : «**إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره**»[(١)] قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقال أمية بن مخشي رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يأكل، فلم يسم حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فيه قال: **بسم الله أوله وآخره** فضحك النبي ﷺ ثم قال: «**ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله تعالى استقاء ما في بطنه**» رواه أبو داود[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ : «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**»[(٣)] رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه.

وقال أبو هريرة: «**ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه**»[(٤)]. متفق عليه.

وعن وحشي أنا أناساً قالوا: يا رسول الله: «**إنا نأكل ولا نشبع**، قال: **ولعلكم تفترقون**»؟ قالوا: نعم. قال: «**فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه**»[(٥)] رواه أبو داود.

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه أبو داود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٨٥٨)، وابن ماجه (٣٢٦٤)، وأحمد (٦/ ١٤٣، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٤٦، ٢٦٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٨١)، والدارمي (٢/ ٩٤)، والطيالسي (١٥٦٦)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٢١) وابن حبان كما في «الإحسان» (٥٢١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٠٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٧٦)، من طريق عبد الله بن عبيد عن امرأة يقال لها أم كلثوم عن عائشة مرفوعاً به. وأم كلثوم هذه مجهولة. والحديث صححه الترمذي وابن القيم في «الزاد» (٢/ ٣٦٢) وقواه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٤٥٥) ثم قال: «هو أصرح ما ورد في صفة التسمية». وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وللحديث شواهد منها عن عبد الله بن مسعود، ومنها حديث أمية بن مخشي الآتي وغيرهما.

(٢) **حديث صحيح بمجموع طرقه** : أخرجه أبو داود (٣٧٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٢)، وأحمد (٤/ ٣٣٦). وفي سنده المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي وهو مستور.

(٣) أخرجه مسلم (١٧/ ٥٠) كتاب الدعوات: باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب وغيره.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٦٣)، (٥٤٠٩)، ومسلم (٢٠٦٤) وأبو داود (٣٧٦٣)، والترمذي (٢٠٣١)، وابن ماجه (٣٣٥٩).

(٥) **إسناده ضعيف** : أخرجه أبو داود (٣٧٦٤)، وابن ماجه (٣٢٨٦)، وأحمد (٣/ ٥٠١)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٥٢٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٠٣)، والبيهقي في «الشعب» (٥٨٣٥)، والطبراني في «الكبير»، والمزي في «تهذيب الكمال» (٥/ ٣٥٩) من طريق الوليد بن مسلم قال: ثنى وحشي بن حرب بن وحشي عن أبيه عن جده به. =

وعن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكل أو شرب فقال: الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه**»[(١)] قال الترمذى حديث حسن. عن أبى سعيد رضي الله عنه أن النبى ﷺ إذا فرغ من طعامه قال: «**الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**»[(٢)] رواه أبو داود والترمذى.

وذكر النسائي عن رجل خدم النبى ﷺ أنه كان يسمع النبى ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول: «**بسم الله**» وإذا فرغ من طعامه قال: «**اللهم أطعمت وسقيت، وأغنيت وأقنيت، وهديت واجتبيت، فلك الحمد على ما أعطيت**»[(٣)].

وفي صحيح البخارى عن أبى أمامة رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «**الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا**»[(٤)].

= قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٤): «إسناده حسن» قلت: هذا وهم منه وذلك لأن وحشي بن حرب بن وحشي قال صالح بن جزرة: «لا يشتغل به ولا بأبيه»، وقال الحافظ: «مستور». وأبوه قال الذهبي: «ما روى عنه سوى ابنه وحشي الحمصي». وقال الحافظ: «مقبول»، فالإسناد ضعيف.

(١) **إسناده صالح في المتابعات**: أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ١/ ٣٦٠) و أحمد (٣/ ٤٣٩)، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٤٦٧) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٧)، (٤/ ١٩٢)، من طرق عن أبي مرحوم - وهو عبد الرحمن ابن ميمون - عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه مرفوعاً.

وقال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي: «أبو مرحوم ضعيف»، وهو عبد الرحمن ابن ميمون. وقال في التقريب: صدوق زاهد. وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

وقال في «الترغيب» (٤/ ٢٨٧): «عبد الرحمن بن ميمون أبو مرحوم ضعفه ابن معين، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقواه بعضهم وحسن الترمذي روايته عن سهل بن معاذ وصححها أيضاً هو وابن خزيمة والحاكم وغيرهم».

(٢) **إسناده ضعيف مضطرب**: أخرجه أبو داود (٣٨٥٠)، والترمذي (٣٤٥٧)، وفي «الشمائل» (١٦٣)، وابن ماجه (٣٢٨٢)، وأحمد (٣/ ٣٢، ٩٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٦٤). والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٩)، وفي سنده إسماعيل بن رياح وهو ضعيف وفي الإسناد أيضاً اضطراب كما ذكر ذلك الحافظ في «التهذيب» (٣/ ٢٥٩)، والترمذي في «السنن» (٥/ ٢٧٤).

(٣) **حديث صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٧، ٦٢)، (٥/ ٣٧٥)، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٦٥)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (٢٣٨)، من طريق بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن جبير أنه حدثه رجل خدم رسول الله ﷺ ثماني سنين: «أنه كان.. فذكره».

وهذا سند صحيح: وقال ابن القيم والألباني: «وإسناده صحيح».

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٥٨٠) (٥٤٥٨)، (٥٤٥٩)، وأبو داود (٣٨٤٩)، والترمذي (٣٤٥٦)، وابن ماجه (٣٢٨٤)، وأحمد (٥/ ٢٦٧)، والدارمي (٢/ ٩٥).

« الفصل الحادي والأربعون » في ذكر الضيف إذا نزل بقوم :

عن عبد الله بن بسر قال: نـزل رسول الله ﷺ على أبى، فقربنا إليه طعاماً ووطبة فأكل منها، ثم أتى بتمر فكان يأكله ويلقى النوى بين أصبعيه ويجمع السبابة والوسطى. قال شعبة: هو ظنى، وهو فيه إن شاء الله إلقاء النوى، ثم أتى بشراب فشربه، ثم ناوله الذى عن يمينه. قال فقال أبى - وأخذ بلجام دابته -: ادع الله تعالى لنا، فقال: «**اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم**» رواه مسلم(١).

وعن أنس أن النبى ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وبزيت فأكل، ثم قال النبى ﷺ : «**أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة**»(٢) رواه أبو داود.

وعن جابر قال: صنع أبو الهيثم بن التيهان للنبى ﷺ طعاماً، فدعا النبى ﷺ وأصحابه، فلما فرغوا قال: «**أثيبوا أخاكم**»، قالوا يا رسول الله وما إثابته؟ قال: «**إن الرجل إذا دُخِل بيته فأكل طعامه وشرب شرابه فدعوا له فذلك إثابته**»(٣). رواه أبو داود.

« الفصل الثاني والأربعون » في السـلام

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أى الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»(٤). متفق عليه.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ : «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(٥) رواه أبو داود.

---

(١) رواه مسلم (١٣/ ٢٢٥)، كتاب الأطعمة، باب: استحباب وضع النوى خارج التمر وغيره.

(٢) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (٣٨٥٤)، وأحمد (٣/ ١٣٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٣٢٠)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٩٤٢٥)، والطحاوي في «المشكل» (١/ ٤٩٨-٤٩٩). والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٨٧). وغيرهم من حديث أنس. وله شاهد من حديث عبد الله بن الزبير.

(٣) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (٣٨٥٣)، وغيره، وفي سنده رجل لم يسم.

(٤) أخرجه البخاري (١٢، ٢٨، وفي مواضع، ومسلم (٢/ ٩)، وأبو داود (٥١٩٤)، والنسائي (٨/ ١٠٧)، وابن ماجه (٣٣٥٣)، وأحمد (٢/ ١٦٩).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ٣٥). كتاب الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وغيره.

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه: ثلاث من جمعهن جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك. وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار[(١)]. ذكره البخاري. وقال عمران بن حصين: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه، ثم جلس فقال النبي ﷺ: «عشر». ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه، فجلس، فقال: «عشرون». ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: «ثلاثون»[(٢)] قال الترمذي حديث حسن.

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أولى الناس بالله من بدأ بالسلام**»[(٣)] قال الترمذي حديث حسن.

وخرّج أبو داود عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم**»[(٤)].

وقال أنس: مر النبي ﷺ على صبيان يلعبون فسلم عليهم[(٥)]. حديث صحيح.

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٠٣) تعليقاً في كتاب الإيمان، باب: إفشاء السلام من الإسلام فقال: قال عمار: فذكره.
قال الحافظ ابن حجر: «عمار بن ياسر، هو أحد السابقين الأولين، وأثره هذا أخرجه أحمد بن حنبل في «كتاب الإيمان» من طريق سفيان الثوري، ورواه يعقوب بن شيبة في «مسنده» من طريق شعبة وزهير بن معاوية وغيرهما كلهم عن إسحاق السبيعي عن صلة بن زفر عن عمار، ولفظ شعبة: «ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان»، وهو بالمعنى وهكذا رويناه في جامع معمر عن أبي إسحاق، وكذا حدث به عبد الرزاق في مصنفه عن معمر، وحدث به عبد الرزاق بآخره فرفعه إلى النبي ﷺ.
وكذا أخرجه البزار في «مسنده» وابن أبي حاتم في «العلل» كلاهما عن الحسن بن عبد الله الكوفي، وكذا رواه البغوي في «شرح السنة» من طريق أحمد بن كعب الواسطي، وكذا أخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» عن محمد بن الصباح الصنعاني ثلاثتهم عن عبد الرزاق مرفوعاً، واستغربه البزار وقال أبو زرعة: هو خطأ.
قلت: وهو معلول من حيث صناعة الإسناد، لأن عبد الرزاق تغير بأخره، وسماع هؤلاء في حال تغيره، إلا أن مثله لا يقال بالرأي فهو في حكم المرفوع، وقد رويناه من وجه آخر عن عمار أخرجه الطبراني في «الكبير» وفي إسناده ضعف، وله شواهد أخرى بينتها في «تغليق التعليق» ا.هـ.
(٢) **حديث صحيح**: أخرجه أبو داود (٥١٩٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٩)، والترمذي (٢٦٨٩). وقال: «حديث حسن صحيح غريب».
(٣) **حديث صحيح**: أخرجه أبو داود (٥١٩٧)، وأحمد (٥/ ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٤، ٤٣٩). وغيرهما.
(٤) **إسناده ضعيف**: أخرجه أبو داود (٥٢١٠)، وفي سنده سعيد بن خالد الخزاعي، وهو ضعيف.
(٥) رواه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٥٥٥٩)، والترمذي (٢٦٩٦).

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ : «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»(١).

« الفصل الثالث والأربعون » في الذكر عند العطاس

قال أبو هريرة عن النبى ﷺ : «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان على كل من سمعه أن يقول: يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك الشيطان منه»(٢). رواه البخارى.

وعنه أيضاً عن النبى ﷺ قال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم»(٣) رواه البخارى.

وفي لفظ أبى داود: «الحمد لله على كل حال»(٤) .

وقال أبو موسى الأشعرى ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه»(٥).

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٠٧)، (١٠٠٨) وأبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٦٩)، (٣٧٠)، (٣٧١). وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٤)، وأحمد (٢/ ٢٣٠، ٢٨٧، ٤٣٩)، والحميدي (١١٦٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٣٢٨)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٤٩٥)، (٤٩٦)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ١٣٩) عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً به.
ورواية ابن عجلان عن سعيد فيها ضعف، لكنه قد توبع عليه، فتابعه يعقوب بن زيد التيمي عن المقبري به. أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٦). والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٦٨). وابن حبان كما في «الإحسان» (٤٩٤). ويعقوب بن زيد هذا ثقة.
وللحديث شواهد تقويه عن جماعة من الصحابة.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٦٦١)، والترمذي (٢٧٤٨) وأبو داود (٥٠٢٨)، وأحمد (٢/ ٢٦٥، ٤٢٨، ٥١٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/٦٠٨)، وأحمد (٢/٣٥٣). والترمذي (٢٧٤٢)، والدارمي (٢/ ٢٨٣) والبخاري في «الأدب» (٩٢١). من طريق عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٤) هذه الزيادة شاذة. وانظر: «الفتح» (١٠/ ٦٠٨)، و«إرواء الغليل» (٧٨٠).

(٥) أخرجه مسلم (١٨/ ١٢١). كتاب الزهد والرقائق، باب: تشميت العاطس، وكراهة التثاؤب. وغيره.

« الفصل الرابع والأربعون »في ذكر النكاح والتهنئة به ، وذكر الدخول بالزوجة

قال ابن مسعود: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: «الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» وفي رواية زيادة: «أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢)، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٧٠-٧١)»[١]. رواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذى: حديث حسن.

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان إذا رفأ الإنسان إذا تزوج قال: «بارك الله لك، وبارك عليكما، وجمع بينكما في خير»[٢] قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً فليقل: اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيراً فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك»[٣] رواه أبو داود.

وفي الصحيحين عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «إن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً»[٤].

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (٢١١٨)، والنسائي (٦/ ٨٩)، والترمذي (١١٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢)، وأحمد (٤١١٦)، (٣٧٢١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٢١٤). من طرق عن ابن مسعود به.

(٢) حديث حسن : أخرجه أبو داود (٢١٣١)، والترمذي (١٠٩١)، وابن ماجه (١٩٠٥)، وأحمد (٢/ ٢٨١) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٣) حديث حسن : أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ٧٧)، وأبو داود (٢١٦٠)، وابن ماجه (١٩١٨)، والحاكم (٢/ ١٨٥)، والبيهقي (٧/ ١٤٨). من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً.

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٢٢٨)، ومسلم (٣٤٧٠)، وأبو داود (٢١٦١)، والنسائي في «عشرة النساء» (ص ٥٥) وابن ماجه (١٩١٩)، وأحمد (١٨٦٧)، (١٩٠٨)، (٢١٧٨)، (٢٥٥٥)، (٢٥٩٧).

« الفصل الخامس والأربعون » في الذكر عند الولادة والذكر المتعلق بالولد

يذكر أن فاطمة رضي الله تعالى عنها لما دنا ولادها أمر النبى ﷺ أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتياها فتقرءا عليها آية الكرسى و ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (الأعراف:٥٤) إلى آخر الآيتين، وتعوذانها بالمعوذتين[١].

وقال أبو رافع: رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أُذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة، قال الترمذى حديث حسن صحيح[٢].

ويذكر عن الحسين بن على قال: قال رسول الله ﷺ : «**من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان**»[٣]. وقالت عائشة: كان النبى ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم. رواه أبو داود.

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : إن النبي ﷺ أمر بتسمية المولود يوم سابعه ووضع الأذى عنه والعق، قال الترمذي: حديث حسن.

وقد سمى النبى ﷺ ابنه إبراهيم وإبراهيم بن أبى موسى، وعبد الله بن أبى طلحة، والمنذر بن أسيد قريباً من ولادتهم.

وعن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، فأحسنوا أسماءكم**»[٤] ذكره أبو داود.

وذكر مسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن**»[٥].

---

(١) **إسناده ضعيف** : أخرجه ابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٠) وفي سنده عيسى بن إبراهيم القرشي وموسى بن أبي حبيب وكلاهما ضعيف جداً.

(٢) **إسناده ضعيف** : أخرجه أبو داود (٥١٠٥)، وفي سنده عاصم بن عبيد وهو ضعيف.

(٣) **إسناده واهٍ** : أخرجه ابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٣)، وسنده ضعيف جداً ففيه: يحيى بن العلاء ومروان بن سالم وكلاهما متروك، وطلحة بن عبيد الله العقيلي وهو مجهول. وانظر الضعيفة (١/ ٤٩١-٤٩٤).

(٤) **إسناده ضعيف** : أخرجه أبو داود (٤٩٤٨). من طريق عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدرداء مرفوعاً. قال المنذري في «الترغيب» (٣/ ٨٥): «وعبد الله بن أبي زكريا ثقة عابد قال الواقدي: كان يعدل بعمر ابن عبد العزيز لكنه لم يسمع من أبي الدرداء واسم أبي زكريا إياس بن يزيد» ا.هـ.

(٥) أخرجه مسلم (٢١٣٢). والترمذي (٢٨٣٤)، وابن ماجه (٣٨٢٨).

وعن أبي وهب الجشمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسموا بأسماء الأنبياء، وإن أحب الأسماء إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة**»(١) رواه أبو داود والنسائي، وغير النبي ﷺ الأسماء المكروهة إلى أسماء حسنة، فغير اسم برة إلى زينب، وغير اسم حزن إلى سهل، وغير اسم عاصية فسماها جميلة، وغير اسم أصرم إلى زرعة وسمى حرباً سلماً، وسمى المضطجع المنبعث، وسمى أرضاً يقال لها عفرة خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبنو الزنية سماهم بنى الرشدة.

« الفصل السادس والأربعون » في صياح الديكة والنهيق والنباح

في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً، وإذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا**»(٢)، وفي سنن أبي داود عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله منهن، فإنهن يرين ما لا ترون**»(٣) رواه أبو داود.

« الفصل السابع والأربعون » في الذكر يطفأ به الحريق

يذكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم الحريق فكبروا، فإن التكبير يطفئه**»(٤).

---

(١) حديث حسن: أخرجه أبو داود (٤٩٥٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨١٤). والنسائي (٦/ ٢١٨)، وأحمد (٤/ ٣٤٥)، والبيهقي (٩/ ٣٠٦)، من طريق عقيل بن شبيب عن أبي وهب الجشمي مرفوعاً. وعقيل بن شبيب مجهول كما في «التقريب»: (٢/ ٢٩).
وللحديث شاهد مرسل أخرجه ابن وهب في «الجامع» (ص ٧): أخبرني ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر اليحصبي مرفوعاً. وهذا سند صالح في الشواهد.
وله شاهد عن أنس أخرجه أبو يعلى من «مسنده» (٢/ ٧٣٩) عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أنس مرفوعاً: «أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن والحارث».
قلت: وهو سند ضعيف: فالحسن البصري - مدلس وقد عنعنه، وإسماعيل بن مسلم وهو أبو إسحاق المكي ضعيف الحديث كما في «التقريب». وللحديث شواهد أخرى.
(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٣٥٠)، ومسلم (١٧/ ٤٦).
(٣) رواه أبو داود (٥١٠٣) من حديث جابر، وله شواهد يحسن بها الحديث.
(٤) إسناده ضعيف: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٥)، (٢٩٨)، وفي إسناده القاسم بن عبد الله بن عمر وهو متهم بالكذب.

« الفصل الثامن والأربعون » في كفارة المجلس

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك**»[١]، قال الترمذى حديث صحيح.

وفي حديث آخر: «**أنه إن كان في مجلس خير كان كالطابع له، وإن كان في مجلس تخليط كان كفارة له**»[٢].

وفي السنن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة**»[٣].

وعن ابن عمر قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا**» قال الترمذي: حديث حسن[٤].

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذي (٣٤٣٣)، وأبو داود (٤٨٥٧)، (٤٨٥٨). وله شواهد.

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٤)، والحاكم (١/ ٥٣٧) والطبراني في «الكبير» وفي «الدعاء» (١٩١٩)، من طريق نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه مرفوعاً. قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي والألباني رحمهما الله تعالى. ولما عزاه المنذري للنسائي والطبراني في «الترغيب» (٢/ ٢٣٦) قال: «ورجالهما رجال الصحيح». وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٤٢): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح». وله شاهد من حديث عائشة أخرجه النسائي (ص ٣٧٣). وسنده صحيح، رجاله رجال الصحيح إلا خلاد بن سليمان وقد وثقه علي بن الحسين بن الجنيد كما في «تهذيب التهذيب».

(٣) **حديث صحيح** : أخرجه أبو داود (٤٨٥٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٠٨)، وابن السني (٤٣٩)، وأحمد (٢/ ٣٨٩، ٥١٥، ٥٢٧). والحاكم (١/ ٤٩٢)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٠٣)، والطحاوي (٢/ ٣٦٧) من طرق عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.
وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي والألباني. وله طرق أخرى عن أبي هريرة خرجتها بإسهاب في تعليقي على «جلاء الأفهام» للمصنف.

(٤) **إسناده ضعيف** : أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٠١)، والحاكم (١/ ٥٢٨)، والترمذي (٣٥٠٢)، وابن السني في «عمله» (٤٤٨)، وفي سنده عبيد الله بن زحر فيه ضعف، وقد اختلف في وصله ورفعه وبيانه في غير هذا الموضع.

« الفصل التاسع والأربعون » فيما يقال ويفعل عند الغضب

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(فصلت:٣٦).

وقال سليمان بن صرد: كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان، أحدهما قد احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: **«إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه»**(١). متفق عليه.

وعن عطية بن عروة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»**(٢) رواه أبو داود.

وفي حديث آخر أنه أمر من غضب إن كان قائماً أن يجلس، وإن كان جالساً أن يضطجع(٣).

« الفصل الخمسون » فيما يقال عند رؤية أهل البلاء

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«من رأى مبتلى، فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاء»**(٤) قال الترمذي: حديث حسن.

« الفصل الحادي والخمسون » في الذكر عند دخول السوق

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»**(٥) رواه الترمذي.

---

(١) رواه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (١٦١٨).
(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٦)، وأبو داود (٤٧٨٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١٤/ ١/ ٨)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٦٧)، (٤٤٣). وفي إسناده محمد بن عطية السعدي، وهو مجهول.
(٣) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ١٥٢)، وأبو داود (٤٧٨٢) بسند صحيح.
(٤) إسناده ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٤٩٣)، وفي إسناده عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف الحديث.
(٥) حديث ضعيف: وقد مضى تخريجه.

وعن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال: «**بسم الله، اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب بها يميناً فاجرة، أو صفقة خاسرة**»[١].

« الفصل الثاني والخمسون » في الرجل إذا خدرت رجله

عن الهيثم بن حنش قال: كنا عند عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فخدرت رجله، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فذكر محمداً فكأنما نشط من عقال[٢].

وعن مجاهد رحمه الله قال: خدرت رِجْل رجل عند ابن عباس رضي الله عنهما فقال: اذكر أحب الناس إليك فقال: محمد ﷺ، فذهب خدره[٣].

« الفصل الثالث والخمسون » في الدابة إذا عثرت

عن أبي المليح عن رجل قال: كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته، فقلت: تعس الشيطان. فقال: «**لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول بقوتي ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب**»[٤].

« الفصل الرابع والخمسون » في من أهدى أو تصدق بصدقة فدُعي له، ماذا يقول؟

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أهديت لرسول الله ﷺ شاة، فقال: «**اقسميها**». وكانت عائشة رضي الله عنها إذا رجعت الخادم تقول: ما قالوا؟ تقول الخادم قالوا: بارك الله فيكم، تقول عائشة رضي الله عنها: وفيهم بارك الله، نرد عليهم مثل ما قالوا، ويبقى أجرنا لنا[٥]. وقد روى عنها في الصدقة مثل ذلك.

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه الطبراني (١١٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٣٩) من حديث بريدة بن الحصيب. وفي إسناده عند الحاكم محمد بن عيسى المدائني، وهو متروك كما قال الذهبي.
وفي سند الطبراني: محمد بن أبان وهو ضعيف.
قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٢٩): «وفيه محمد بن أبان الجعفي، وهو ضعيف».

(٢) **إسناده ضعيف**: أخرجه ابن السني (١٧٠). والهيثم مجهول.

(٣) **إسناده ضعيف**: أخرجه ابن السني (١٦٩). وفي إسناده غياث بن إبراهيم وهو متروك.

(٤) **حديث صحيح**: وأخرجه أبو داود (٤٩٨٢).

(٥) **إسناده ضعيف**: أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٢٦)، وفي إسناده عبيد بن أبي الجعد، وهو مجهول.

« الفصل الخامس والخمسون » فيمن أميط عنه أذى

عن أبي أيوب ﷺ أنه تناول من لحية رسول الله ﷺ أذى، فقال رسول الله ﷺ : «مسح الله عنك يا أبا أيوب ما تكره»[١]، وفي لفظ آخر: «لا يكن بك السوء يا أبا أيوب»[٢].

وعن عمر ﷺ أنه أخذ عن رجل شيئاً، فقال الرجل. صرف الله عنك السوء. فقال عمر ﷺ : صرف الله عنا السوء منذ أسلمنا، ولكن إذا أُخِذَ عنك شيئاً فقل أخذت يداك خيراً[٣].

« الفصل السادس والخمسون » في رؤية باكورة الثمرة

قال أبو هريرة ﷺ : كان الناس إذا رأوا الثمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ فقال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا» ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان[٤]. رواه مسلم.

« الفصل السابع والخمسون » في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ (الكهف:٣٩).

وقال النبي ﷺ : «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»[٥] حديث صحيح.

ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا رأى أحدكم ما يعجبه في نفسه أو ماله فليبرك عليه، فإن العين حق»[٦].

---

(١) إسناده ضعيف : وأخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٢)، وفي إسناده عثمان بن فائد وهو ضعيف جداً.

(٢) إسناده ضعيف : وأخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٣)، وفي إسناده عمران بن موسى وأبو هلال الراسبي، وكلاهما ضعيف، ثم إنه مرسل.

(٣) إسناده ضعيف : أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٤)، وفي إسناده انقطاع بين حسان بن إبراهيم بن عبيد الله وبين عمر بن الخطاب.

(٤) أخرجه مسلم (٩/ ١٤٥).

(٥) أخرجه مسلم (١٨٨). من حديث ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً.

(٦) أخرجه الحاكم (٤/ ٢١٢)، وابن ماجة وابن السني (٢٠٤). وغيرهم من حديث عامر بن ربيعة.

ويذكر عنه ﷺ أنه قال: «**من رأى شيئاً فأعجبه فليقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله**»[١]، ويذكر عنه ﷺ فيمن خاف أن يصيب شيئاً بعينه قال: «**اللهم بارك لنا فيه ولا تضره**»[٢].

وقال أبو سعيد: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان، وعين الإنسان، حتى نـزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما، قال الترمذي: حديث حسن[٣]. ورواه ابن ماجه في سننه.

« الفصل الثامن والخمسون » في الفأل والطيرة

قال النبي ﷺ : «**لا عدوى ولا طيرة، أصدقها الفأل**» قيل: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الحسنة يسمعها الرجل**»[٤] وكان النبي ﷺ يعجبه الفأل، كما كان في سفر الهجرة فلقيهم رجل فقال: «**ما اسمك**»؟ قال بريدة. قال: «**برد أمرنا**».

وقال ﷺ : «**رأيت في منامي كأني في دار عقبة بن رافع وأتينا من رطب ابن طاب، فأولتها الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة لنا في الآخرة، وأن ديننا قد طاب**»[٥]. أما الطيرة فقال معاوية بن الحكم: قلت يا رسول الله منا رجال يتطيرون. قال: «**ذلك شيء تجدونه في صدوركم فلا يصدنكم**»[٦] وهذه الأحاديث في الصحاح.

وعن عقبة بن عامر قال: سئل رسول الله ﷺ عن الطيرة فقال: «**أصدقها الفأل، ولا ترد مسلماً. وإذا رأيتم من الطير شيئاً تكرهونه فقولوا: الله لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[٧].

---

(١) أخرجه ابن السني (٢٠٥) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن السني (٢٠٦) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه النسائي (٨/ ٢٧١)، والترمذي (٢٠٥٨)، وابن ماجه (٣٥١١)، وفي إسناده الجريري وكان قد اختلط.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤)، وأبو داود (٢/ ١٥٨)، والترمذي (١/ ٣٠٥)، والطيالسي (١٩٦١)، وابن ماجه (٢/ ٣٦٢)، وابن أبي شيبة (٦٤٤٨)، وأحمد (٣/ ١٣٠، ١٥٤، ١٧٣، ١٧٨، ٢٧٦) من طرق عن قتادة عن أنس مرفوعاً. وقد صرح قتادة بالسماع في رواية أحمد.

(٥) رواه مسلم (٢٢٧٠).

(٦) رواه مسلم (٥٣٧).

(٧) إسناده ضعيف : وأخرجه أبو داود (٣٩١٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٤)، وفي سنده حبيب بن أبي ثابت وهو مدلس وقد عنعنه، وعروة بن عامر مختلف في صحبته فقال الماوردي: له صحبة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقال المزي: له صحبة.
وانظر «الإصابة» (٢/ ٤٦٩). وأما ذكر عقبة بن عامر فهو تصحيف والله أعلم.

« الفصل التاسع والخمسون » في الحمام

يذكر عن أبى هريرة أنه قال: نعم البيت الحمام يدخله المسلم، إذا دخله سأل الله الجنة واستعاذ به من النار[١].

« الفصل الستون » في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه

في الصحيحين عن أنس ﷺ قال: كان النبى ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[٢] وزاد سعيد بن منصور: «**بسم الله**»[٣].

وفي مسند الإمام أحمد عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث**»[٤].

وفي سنن ابن ماجه عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يعجز أحدكم إذا دخل موقعه أن يقول: اللهم إنى أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم**»[٥].

وفي الترمذى عن على ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ستر ما بين الجن وعورات بنى آدم إذا دخل الكنيف أن يقول: بسم الله**»[٦].

---

(١) **إسناده ضعيف** : أخرجه ابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٣١٦). وفي إسناده يحيى بن عبيد الله وهو متروك.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢)، ومسلم (٨٠٩)، وأبو داود (٤)، والترمذي (٦)، وابن ماجه (٢٩٨)، والنسائي (١/ ٩)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٧٤)، وأبو عوانة في «صحيحه» (١/ ٢١٦)، وأحمد (٩٩، ١٠١، ٢٨٢)، والدارمي (١/ ١٧١)، وابن السنى في «عمله» (١٦)، والبيهقي (١/ ٩٥). من طرق عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس به.

(٣) أخرجها سعيد بن منصور في «سننه»، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ١)، من طريق أبي معشر نجيح عن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس. وكذا رواه ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٦٤).
وأبو معشر ضعيف. فلا يقبل منه هذه الزيادة، فهي تعتبر منكرة لمخالفتها لكل طرق الحديث عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس في «الصحيحين» وغيرهما ممن سبقت الإشارة إليهم.

(٤) **إسناده صحيح** : أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٩، ٣٧٣)، وأبو داود (١/ ٢)، وغيرهما بسند صحيح. وقال الألباني - رحمه الله تعالى - في «تمام المنة» (ص ٥٧): «وإسناده صحيح على شرط البخاري».

(٥) **إسناده ضعيف** : أخرجه ابن ماجه (٢٩٩). من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً. وعبيد الله وعلي بن زيد كلاهما ضعيف.

(٦) **إسناده ضعيف** : أخرجه الترمذي (٦٠٦)، وابن ماجه (٢٩٧)، من طريق محمد بن حميد الرازي حدثنا الحكم بن بشير بن سليمان عن خالد الصغار عن الحكم بن عبد الله النصري عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة عن علي مرفوعاً به. =

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الغائط قال: «**غفرانك**»[١] رواه الإمام أحمد وأهل السنن. وفي سنن ابن ماجة عن أنس ﷺ : كان النبى ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «**الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى**»[٢].

« الفصل الحادي والستون » في الذكر عند إرادة الوضوء

ثبت في النسائي عنه ﷺ أنه وضع يده في الجفنة وقال: «**توضأوا بسم الله**»[٣].

وفي صحيح مسلم عن جابر ﷺ في حديثه الطويل، وفيه: «**يا جابر ناد بوَضوء**» فقلت: ألا وَضوء؟ ألا وَضوء؟ وفيه قال: «**خذ يا جابر فصب عليّ وقل: بسم الله**» فصببت عليه وقلت بسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ» [٤].

= أبو إسحاق هو السبيعي مدلس وقد عنعنه، والحكم بن عبد الله النصرى مجهول لم يوثقه غير ابن حبان، ومحمد بن حميد الرازي قال البخاري «فيه نظر». وقد ضعفه الترمذي بقوله: «حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بذاك القوي».

(١) حديث حسن : أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٣)، وأبو داود (٣٠)، والترمذي (٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٩)، وابن ماجه (٣٠٠)، وأحمد (٦/ ١٥٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ٢)، وابن خزيمة (٩٠)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١٤٤٤)، والحاكم (١/ ١٥٨)، وابن الجارود في «المنتقى» (٤٢)، والدارمي (١/ ١٧٤)، والبيهقي (١/ ٩٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١٨٨)، من طريق يوسف بن أبي بردة عن أبيه عن عائشة به. ويوسف بن أبي بردة روى عنه ثقتان ووثقه العجلي وذكره ابن حبان في «الثقات» وذكره البخاري في تاريخه وذكر له هذا الحديث ولم يذكر فيه جرحاً، وقال الذهبي في «الكاشف»: ثقة وقد أخرج حديثه أصحاب السنن وغيرهم.
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح فإن يوسف بن أبي بردة من ثقات آل أبي موسى ولم نجد أحداً يطعن فيه».
وقال الذهبي: «صحيح ويوسف ثقة، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، وصححه الإمام النووي».
وقال النووي في «المجموع» هو حديث حسن صحيح.
وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».
وقال أبو حاتم في «العلل» (١/ ٤٣): عنه: أصح حديث في هذا الباب.

(٢) إسناده ضعيف : أخرجه ابن ماجه (٣٠١). من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس به، وإسماعيل بن مسلم ضعيف الحديث كما في «التقريب» (١/ ٧٤).

(٣) حديث صحيح : أخرجه النسائي (١/ ٦٢)، وأحمد (٣/ ١٦٥)، وعبد الرزاق (٣٠٥٣٥)، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٢٧)، وابن خزيمة (١٤٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٥٤٤)، وأبو يعلي (٣٠٣٦)، والبيهقي (١/ ٤٣)، والدارقطني (٢٦)، من حديث أنس.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦)، وأحمد (٣/ ٣٥٣، ٣٦٥).

وفي المسند والسنن من حديث سعيد بن زيد عن النبي ﷺ: **«لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»**[(١)]. قال البخاري: هذا أحسن شيء في هذا الباب.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»**[(٢)]. رواه الإمام أحمد وأبو داود.

وفي المسند عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»**[(٣)].

« الفصل الثاني والستون » في الذكر بعد الفراغ من الوضوء

روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: **«ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ- الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»**[(٤)] وزاد فيه الترمذي بعد ذكر الشهادتين: **«اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»**[(٥)].

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٤/ ٧٠)، والترمذي (٢٥)، وابن ماجه (٣٩٨) من حديث سعيد بن زيد وفي سنده مجهول.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ٤١٨)، وأبو داود (١٠١)، وابن ماجه (٣٩٩)، والدارقطني (ص ٢٩)، والحاكم (١/ ١٤٦)، والبيهقي (١/ ٤٣)، من طريق يعقوب بن سلمة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً. ويعقوب بن سلمة وأبوه مجهولان.

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد(٣/ ٤١)، وابن ماجه (٣٩٧)، وفي سنده ربيح بن عبد الرحمن قال في «التقريب»: «مقبول». أي إذا توبع وإلا فلين. وللحديث طرق أخرى عن غير هؤلاء منهم: أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، وعائشة، وأبو سبرة، وأم سبرة رضي الله عنهم.
وقال الحافظ ابن حجر: «والظاهر أن مجموع الأحاديث يحدث قوة تدل على أن له أصلاً».
وممن صحح الحديث: إسحاق بن راهويه، والبخاري، وابن أبي شيبة والمنذري، وابن الصلاح، وابن سيد الناس والحافظ العراقي، وابن القيم، وابن كثير، والحافظ ابن حجر، والشوكاني، والصنعاني، والمباركفوري، والشيخ أحمد محمد شاكر، والشيخ الألباني، وللشيخ أبي إسحاق الحويني جزء فيه بعنوان: «كشف المخبوء بثبوت حديث التسمية على الوضوء» ط. مكتبة التوعية. فراجعه.

(٤) أخرجه مسلم (٥٤٢)، والنسائي (١/ ٩٥)، وأبو داود (١٦٩) والترمذي (١/ ٧٨)، وابن ماجه (١/ ١٧٤)، وأبو عوانة في «صحيحه» (١/ ٢٢٥)، وأحمد (٤/ ١٤٥، ١٤٦، ١٥٣)، والبيهقي (١/ ٧٨)، (٢/ ٢٨٠) من طرق عن عقبة بن عامر عن عمر بن الخطاب مرفوعاً.

(٥) هذه الزيادة قد أعلها الترمذي بالاضطراب، ولها شواهد من حديث ثوبان، وابن عمر وأنس.

وفي بعض طرق ذكرها أبو داود والإمام أحمد: «**فأحسن الوضوء ثم رفع نظره إلى السماء فقال..** » وذكره[1].

وفي لفظ للإمام أحمد «**فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**».

وفي سنن النسائي عن أبي سعيد الخدري قال: «**من توضأ ففرغ من وضوئه وقال: سبحانك اللهم، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، طبع عليها بطابع، ثم رفعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة**»[2]. هكذا رواه من قول أبي سعيد ﷺ.

وأما الأذكار التي يقولها العامة على الوضوء عند كل وضوء فلا أصل لها عند رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة الأربعة، وفيها حديث كذب على رسول الله ﷺ.

« الفصل الثالث والستون » في ذكر صلاة الجنازة

في صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة، فحفظت من دعائه وهو يقول: «**اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الذنوب والخطايا كما نقيت الثوب**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٠-١٥١)، وأبو داود (١٧٠)، والدارمي (١/ ١٨٢)، وابن السني في «عمله» (٢٩) من طريق أبي عقيل عن ابن عمه عن عقبة بن عامر مرفوعاً به لم يذكر في إسناده عمر.
وابن عم أبي عقيل مجهول.

(٢) إسناده صحيح : أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨١)، وابن السني في «عمله» (٢٨)، والحاكم (١/ ٥٦٤)، والطبراني في «الأوسط» (١٤٥٥). من طريق أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد مرفوعاً. وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي.
وتعقبه الألباني بقوله: «بل هو على شرط الشيخين، فإن رجاله كلهم ثقات من رجالهما».
وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح».
أخرجه الحاكم (١/ ٥٦٤) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، فقال: ثنا سفيان عن أبي هاشم عن أبي مجلز به. إلا أنه أوقفه على أبي سعيد. وتابعه ابن المبارك عن سفيان به موقوفاً.
أخرجه النسائي في «عمله» (٨٢). ولا شك أن الوقف أصح إسناداً. لكن الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قد قال: «مثله لا يقال من قبل الرأي، فله حكم الرفع». وأقره الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٤٤٠)، و«تمام المنة في التعليق على فقه السنة» (ص ٩٨).

الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر» قال حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت، لدعاء رسول الله ﷺ[١]، وفي لفظ: «وقه فتنة القبر وعذاب النار».

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة فقال: «**اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده**»[٢].

وفي سنن أبي داود أيضاً عن واثلة بن الأسقع قال: صلى رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول: «**اللهم إن فلان ابن فلان في ذمتك وحبل جوارك، فقه فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحمد، اللهم فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم**»[٣].

وسأل مروان أبا هريرة: كيف سمعت رسول الله ﷺ يصلي على الجنازة؟ قال: «**اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها، جئنا شفعاء فاغفر له**» رواه الإمام أحمد وأبو داود[٤].

« الفصل الرابع والستون »

في الذكر إذا قال هُجرًا أو جرى على لسانه ما يسخط ربه عز وجل

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف منكم فقال في حلفه واللات والعزى، فليقل لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك، فليتصدق**»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٣).

(٢) **إسناده صحيح** : أخرجه أبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٢٤)، من طريق الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً. وسنده صحيح.

(٣) **رجاله ثقات** : أخرجه أبو داود (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٤٩٩)، وأحمد (٣/ ٤٩١)، وابن حبان (٧٥٨)، من طريق الوليد بن مسلم عن مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن واثلة بن الأسقع مرفوعاً. ورجاله ثقات. غير أن الوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية. وقد صرح بالسماع من شيخه في رواية أحمد وغيرها.

(٤) **إسناده ضعيف** : وأخرجه أحمد (٢/ ٢٥٦، ٤٥٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٧٦)، (١٠٧٧)، (١٠٧٨)، وأبو داود (٣٢٠٠) وفي سنده علي بن شماخ فيه ضعف.

(٥) أخرجه البخاري (١١/ ٩١)، ومسلم (١١/ ١٠٦).

فكل من حلف بغير الله فهذه كفارته لأن النبي ﷺ قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[١] حديث صحيح، وكفارة الشرك التوحيد وهو كلمة لا إله إلا الله. ومن قال تعالى أقامرك فقد تكلم بهجر وفحش يتضمن أكل المال وإخراجه بالباطل، وكفارة هذه الكلمة بضد القمار وهو إخراج المال بحق في مواضعه وهو الصدقة. وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه: **حلفت باللات والعزى** - وكان العهد قريباً - فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «**قد قلت هجراً، قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وانفث عن يسارك سبعاً، ولا تعد**»[٢].

« الفصل الخامس والستون » فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم

يذكر عن النبي ﷺ أن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول: «**اللهم اغفر لنا وله**»، وذكره البيهقي في الدعوات الكبير وقال: في إسناده ضعف[٣].

وهذه المسألة فيها قولان للعلماء - هما روايتان عن الإمام أحمد - وهما: هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب، أم لابد من إعلامه وتحليله؟

والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه، بل يكفيه الاستغفار وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، والذين قالوا لابد من إعلامه جعلوا الغيبة كالحقوق المالية. والفرق بينهما ظاهر، فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه، فإن شاء أخذها وإن شاء تصدق بها، وأما في الغيبة فلا يمكن ذلك ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع ﷺ فإنه يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمى به، ولعله يهيج عداوته ولا يصفو له أبداً، وما كان هذا

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (٥/ ١٣٥)، وأحمد (٢/ ١٢٥)، والبغوي في «الجعديات» (٢٣٣٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨)، وابن حبان (١١٧٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٣٥٧-٣٥٩). من طرق عن سعد بن عبيدة عن ابن عمر به.

وقال الترمذي: «حديث حسن». وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي. فتعقبه الألباني بقوله: «وإنما هو على شرط مسلم، فإن الحسن هذا -وهو النخعي- لم يخرج له البخاري. ولكنه توبع».

(٢) حديث صحيح : وأخرجه النسائي (٧/ ٨)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٨٩)، (٩٩٠) وأحمد (١/ ١٨٣)، وابن حبان كما في «الموارد» (١١٧٨).

(٣) قد حكم بعض أهل العلم عليه بالوضع.

سبيله فإن الشارع الحكيم ﷺ لا يبيحه ولا يجوزه فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به، ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها، لا على تحصيلها وتكميلها. والله تعالى أعلم.

« الفصل السادس والستون » فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس وخسوف القمر

في الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى ﷺ قال: **«إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وتصدقوا»**[١].

وفي صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: بينا أنا أرمى بأسهم لى في حياة رسول الله ﷺ إذ كسفت الشمس، فنبذتهن وقلت: لأنظرن ما حدث لرسول الله ﷺ في كسوف الشمس اليوم، فانتهيت إليه وهو رافع يديه يسبح ويحمد ويهلل ويدعو، حتى حسر عن الشمس، فقرأ بسورتين وركع ركعتين[٢]. والنبى ﷺ أمر في الكسوف بالصلاة والعتاقة والمبادرة إلى ذكر الله تعالى والصدقة. فإن هذه الأمور تدفع أسباب البلاء.

« الفصل السابع والستون » فيما يقول من ضاع له شيء ويدعو به

ذكر على بن المديني عن سفيان عن ابن عجلان عن عمر بن كثير بن أفلح قال: كان ابن عمر يقول للرجل إذا أضل شيئاً: قل اللهم رب الضالة، هادى الضالة تهدى من الضلالة، رد على ضالتى بقدرتك وسلطانك، فإنها من عطائك وفضلك، وفي وجه آخر: سئل ابن عمر ﷺ عن الضالة فقال: يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يتشهد ثم يقول: اللهم راد الضالة هادى الضلالة، وتهدى من الضلال، رد عليَّ ضالتى بعزتك وسلطانك، فإنها من فضلك وعطائك. قال البيهقى هذا موقوف، وهو حسن، وقد قيل: إن من ضاع له شيء، فقال: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه رد عليَّ ضالتى. ردها الله تعالى عليه.

« الفصل الثامن والستون » في عقد التسبيح بالأصابع وأنه أفضل من السبحة

روى الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيمينه، رواه أبو داود[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).
(٢) أخرجه مسلم (٩١٣).
(٣) حديث حسن : أخرجه أبو داود (١٥٠٢)، والنسائي (٣/ ٧٩)، والترمذي (٣٤٨٦)، والحاكم (١/ ٥٤٧)، والبيهقي (٢/ ٢٥٣)، وابن حبان (٢٣٣٤) موارد. وسنده حسن.

وروت يسيرة إحدى المهاجرات رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس، ولا تغفلن فتنسين الرحمة، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات»(١).

« الفصل التاسع والستون » في أحب الكلام إلى الله عز وجل بعد القرآن

ثبت في صحيح مسلم عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(٢).

وفي وجه آخر: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(٣).

وفي أثر آخر: «أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده»(٤).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(٥).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»(٦).

---

(١) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (١٥٠١)، والترمذي (٣٥٨٣)، وأحمد (٦/ ٣٧٠-٣٧١)، وابن أبي شيبة (٢/ ٢٨٢)، (٧/ ٦٦)، وابن حبان (٨٤٢)، والحاكم (١/ ٥٤٧)، والطبراني في «الكبير» (ح ١٨/ رقم ٨٠، ٨١)، وفي سنده حميضة بنت ياسر، وابنها هانئ بن عثمان وكلاهما ضعيف. وقد صححه ابن حبان والذهبي وحسنه النووي وابن حجر.

(٢) أخرجه مسلم (٣١٣٧)، وأحمد (٥/ ١٦١)، من طريق شعبة عن الجريري عن أبي عبد الله الجسري عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر به. وأخرجه النسائي (ص ٤٨٥). من طريق الأعمش عن أبي صالح عن بعض أصحاب النبي ﷺ وسنده حسن.

(٣) هذه الرواية أخرجها أحمد (٥/ ٢٠) وسندها صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣١)، وأحمد (٥/ ٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (١٣/ ٥٣٧)، ومسلم (١٧/ ١٩).

(٦) أخرجه مسلم (١٧/ ١٩). وغيره.

« الفصل السبعون » في الذكر المضاعف

في صحيح مسلم عن جويرية أم المؤمنين أن النبى ﷺخرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى في مسجدها، ثم رجع بعدما أضحى وهى جالسة، فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها**»؟ قالت: نعم. فقال النبى ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضاء نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته**»(١).

وعن سعد بن أبى وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺعلى امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال: «**أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل**»، فقال: «**سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد ما بين ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك**»(٢). رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن.

« الفصل الحادي والسبعون » فيما يقال لمن حصل له وحشة

روينا في معجم الطبرانى عن البراء بن عازب أن رجلاً اشتكى إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال: «**قل: سبحان الله الملك القدوس، رب الملائكة والروح، جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت**». فقالها الرجل، فأذهب الله عنه الوحشة(٣).

« الفصل الثانى والسبعون » في الذكر الذى يقوله أو يقال له إذا لبس ثوباً جديداً

عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال: كان رسول الله ﷺإذا استجد ثوباً سماه باسمه قميصاً أو إزاراً أو عمامة يقول: «**اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له**»(٤).

---

(١) قد سبق تخريجه.

(٢) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (١٥٠٠)، والترمذي (٣٥٦٨) وفي إسناده خزيمة وهو مجهول.

(٣) إسناده ضعيف : أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٧١). وفي سنده محمد بن أبان الجعفي وهو ضعيف، كما قال الهيثمي في «المجمع».

(٤) إسناده فيه ضعف : أخرجه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٩)، وابن السنى في «عمله» (٢٧٠)، وابن حبان (١٤٤٢)، من طريق الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. والجريري مختلط، ثم إنه قد اختلف عليه.

قال أبو نضرة: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا رأى أحدهم على صاحبه ثوباً قال: تبلى ويخلف الله تعالى، ذكره البيهقي.

وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**من لبس ثوباً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»(١).

« الفصل الثالث والسبعون » فيما يقال عند رؤية الفجر

روى ابن وهب عن سليمان بن بلال عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر فبدا له الفجر قال: «**سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا، ربنا صاحبنا فأفضل علينا عائذًا بالله من النار**»(٢). يقول ذلك ثلاث مرات ويرفع بها صوته. هذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

« الفصل الرابع والسبعون » في التسليم للقضاء والقدر بعد بذل الجهد في تعاطي ما أمر به من الأسباب

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران:١٥٦).

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٢٤٥٨)، والحاكم وغيرهم من طريق أبي مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه به. وأبو مرحوم هو عبد الرحيم بن ميمون.
قال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٢٨٧): «عبد الرحيم بن ميمون أبو مرحوم ضعفه يحيى بن معين» وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وقواه بعضهم وحسن الترمذي روايته عن سهل بن معاذ وصححها أيضاً هو وابن خزيمة والحاكم وغيرهم.
وقال ابن الجوزي في «العلل» (٢/ ١٩٠/ ١١٢٩): «قال يحيى: سهل وعبد الرحيم ضعيفان»، وسهل ابن معاذ: وثقه العجلي وابن حبان وقال (٤/ ٣٢١): «لا يعتبر حديثه ما كان من رواية زبان عنه».
وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٧): «سهل بن معاذ بن أنس وثقه ابن حبان، وفيه ضعف».
وقال الحافظ ابن حجر: «لا بأس به إلا في روايات زبان عنه». وقال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٢٨٤): «سهل بن معاذ بن أنس ضعف وحسن له الترمذي وصحح له الحاكم».

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

فنهى سبحانه عباده أن يتشبهوا بالقائلين: لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه بخلافه. وقال النبي ﷺ: **«وإياك واللو، فإن اللو تفتح عمل الشيطان»**[١].

وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت، كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**[٢] رواه مسلم.

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قضى بين رجلين، فقال المقضى عليه لما أدبر: حسبنا الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: **«إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»**[٣] فنهى النبي ﷺ أن يقول عند جريان القضاء ما يضره ولا ينفعه، وأمره أن يفعل من الأسباب ما لا غنى له عنه، فإن أعجزه القضاء قال: حسبي الله، فإذا قال حسبي الله بعد تعاطى ما أمره من الأسباب، قالها وهو محمود فانتفع بالفعل والقول، وإذا عجز وترك الأسباب وقالها قالها وهو ملوم بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة الله عز وجل، فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن فعل ما أمر به.

« الفصل الخامس والسبعون »

في جوامع من أدعية النبي ﷺ وتعوذاته لا غنى للمرء عنها

قالت عائشة: كان النبي ﷺ يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك.

وفي المسند والنسائي وغيرهما أن سعداً سمع ابناً له يقول: اللهم إني أسألك الجنة وغرفها وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وأغلالها وسلاسلها. فقال سعد رضي الله عنه: لقد

---

(١) حديث حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٦، ٣٧٠)، والنسائي في «عمله» (٦٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٥٧)، (١٠٤٦١)، وابن ماجه (٧٩)، (٤١٦٨)، وأحمد (٢/ ٣٦٦، ٣٧٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٥٦)، والحميدي (١١١٤)، وأبو يعلى (٦٥١)، (٦٣٤٦)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٥٧٢١)، (٥٧٢٢)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ١٠١)، والبيهقي (١٠/ ٨٩)، كلهم من طرق عن أبي هريرة به.

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٦٢٧)، وأحمد (٦/ ٢٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٦)، وابن السني في «عمله» (٣٥١)، وفي إسناده سيف الشامي وهو مجهول. وللحديث شواهد يحسن بها.

سألت الله خيراً كثيراً، وتعوذت من شر كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون قوم يعتدون في الدعاء**»، وبحسبك أن تقول: اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم[١].

وفي مسند الإمام أحمد وسنن النسائي عن ابن عباس قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «**رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شكاراً، لك ذكاراً، لك رهاباً، لك مخبتاً، إليك أواهاً منيباً، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي**»[٢] هذا حديث صحيح ورواه الترمذي وحسنه وصححه.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: كنت أخدم النبي ﷺ فكنت أسمعه يكثر أن يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال**»[٣].

وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم ﷺ قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها**»[٤].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم**». فقال قائل: ما أكثر ما تستعيذ من

---

(١) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (١٤٨٠)، وأحمد (١/ ١٧٢) من طريق ابن لسعد (وفي رواية مولى لسعد) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً. وهذا الابن أو المولى لم يسم.

(٢) إسناده حسن : أخرجه أبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٠٧)، وأحمد (١/ ٢٢٧) من طريق قيس بن طلق عن ابن عباس مرفوعاً.

وقيس بن طلق: وثقه ابن معين والعجلي وابن حبان ووهاه أبو حاتم وقال الدارقطني: «قيس بن طلق ليس بالقوي». وقال الحافظ: صدوق.

وذكر الذهبي عن ابن القطان أنه قال: «يقتضي أن يكون خبره حسناً لا صحيحاً».

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ١٧٨)، ومسلم (٢٧٠٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٧/ ٤١).

المغرم؟ قال: **«إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف»**[١].

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء النبي ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، ومن فجاءة نقمتك، ومن جميع سخطك»**[٢].
وفي الترمذي عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر ما أسأل؟ قال: **«قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»**[٣]. قال الترمذي صحيح.

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ أنه قال: **«عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار، وسلوا الله المعافاة، فإنه لم يؤت رجل بعد اليقين خيراً من المعافاة»**[٤].

وفي صحيح الحاكم عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: **«ما سئل الله عز وجل شيئاً أحب إليه من أن يسئل العافية»**[٥].

وذكر الفريابي في كتاب الذكر من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الدعاء أفضل؟ قال: **«تسأل الله العفو والعافية، فإذا أعطيت ذلك فقد أفلحت»**[٦].

---

(١) وقد مضى تخريجه.
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٩)، وغيره.
(٣) **حديث صحيح** : وأخرجه الترمذي (٩/ ٤٥٩)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وغيرهما من حديث عائشة. وللحديث شواهد خرجتها في غير هذا الموضع.
(٤) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد (١/ ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١١)، وأبو يعلى (٨)، (٤٩)، (٧٤)، (٨٦). وفي مواضع أخرى، والحاكم (١/ ٥٢٩)، وابن حبان في «صحيحه» وللحديث شواهد كثيرة سيأتي تخريج بعضها.
(٥) **إسناده ضعيف** : وأخرجه الحاكم (١/ ٤٩٨)، من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة عن موسى ابن عقبة عن نافع عن ابن عمر به. وقال الحاكم: «هذا حديث حسن صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «المليكي ضعيف. قلت: وله ترجمة في «الميزان». وأخرج ابن ماجه (٢/ ٤٣٥)، ومن طريق هشام صاحب الدستوائي عن قتادة عن العلاء بن زيادة العدوي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من اللهم أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة»**.
وقال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٢٣٢): «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، العلاء بن زيادة ذكره ابن حبان في «الثقات» ولم أر من تكلم فيه، وباقي رجال الإسناد ثقات».
(٦) رواه الطبراني كما في «المجمع» (١٠/ ١٧٥): وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير العلاء ابن زيادة وهو ثقة، ولكنه لم يسمع من معاذ». وذكر له شاهد من حديث أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ: «ما سأل العباد شيئاً أفضل من أن يغفر لهم ويعافيهم» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

وفي الدعوات للبيهقى عن معاذ بن جبل قال: مر رسول الله ﷺ برجل يقول: اللهم إنى أسألك الصبر، قال: «**سألت الله البلاء، فسل العافية**».

ومر برجل يقول: اللهم إنى أسألك تمام النعمة. فقال: «**وما تمام النعمة؟**» قال: سألت وأنا أرجو الخير، قال له: «**تمام النعمة الفوز من النار، ودخول الجنة**»[١].

وفي صحيح مسلم عن أبى مالك الأشجعى رضي الله تعالى عنه عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يعلم من أسلم أن يقول: «**اللهم اهدنى وارزقنى وعافنى وارحمنى**»[٢].

وفي المسند عن بسر بن أرطأة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة**»[٣].

وفي المسند وصحيح الحاكم عن ربيعة بن عامر عن النبى ﷺ : «**ألظوا بياذا الجلال والإكرام**»[٤] أى الزموها وداوموا عليها.

---

(١) رواه الطبراني، قال في «المجمع» رواه الطبراني، وفيه هلال بن خباب وهو ثقة، وقد ضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

وقال الضياء في «المختارة» كما في «الصحيحة» (٤/ ٢٨): قلت: وهلال بن خباب وثقه الإمام أحمد ويحيى بن معين وغيرهما، وقال إبراهيم بن الجنيد: سألت يحيى بن معين عن هلال بن خباب؟ وقلت: إن يحيى القطان يزعم أنه تغير قبل أن يموت واختلط. وقال يحيى: لا، ما اختلط، ولا تغير، فقلت: ليحيى: فثقة هو؟ قال: ثقة مأمون. وقال الحافظ: «صدوق تغير بأخره».

(٢) أخرجه مسلم (١٧/ ٢٠)، وابن ماجه (٢/ ٤٣٣)، وأحمد (٣/ ٤٧٢)، (٦/ ٣٩٤): من طريق يزيد بن هارون عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله: كيف أقول حين أسأل ربي، قال: فذكره. وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص نحوه مرفوعاً.

(٣) إسناده ضعيف : أخرجه أحمد (٤/ ١٨١)، وغيره من طريق محمد بن أيوب بن ميسرة بن حلبس قال: سمعت أبي يحدث عن بسر بن أرطأة فذكره مرفوعاً.

وفي إسناده أيوب بن ميسرة وهو مجهول.

(٤) حديث صحيح : أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١/ ٢٥٦)، وأحمد (٤/ ١٧٧)، والحاكم (١/ ٤٩٨-٤٩٩) من طريق عبد الله بن المبارك أخبرني يحيى بن حسان عن ربيعة بن عامر قال سمعت النبي ﷺ يقول: فذكره.

وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي والألباني رحمهما الله تعالى. ويحيى بن حسان وثقه النسائي وابن منده وابن حبان وغيرهم.

وللحديث طرق أخرى عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وأنس وغيرهما.

وفي صحيح الحاكم أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لهم: «**أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا في الدعاء**»؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «**قولوا: اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[(١)].

وفي الترمذي وغيره أن النبي ﷺ أوصى معاذاً أن يقولها دبر كل صلاة[(٢)].

وفي صحيحه أيضاً عن أنس قال: كنا مع النبي ﷺ في حلقة، ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي، يا قيوم، فقال النبي ﷺ : «**لقد سأل الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**»[(٣)].

وفي المسند وصحيح الحاكم أيضاً عن شداد بن أوس ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ : «**يا شداد، إذا رأيت الناس يكنزون الذهب والفضة فاكنـز هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليمًا، ولساناً صادقاً، واسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب**»[(٤)].

وفي الترمذي أن حصين بن المنذر الخزاعي ﷺ قال له النبي ﷺ : «**كم تعبد إلهاً**»؟» قال: سبعة: ستة في الأرض، وواحداً في السماء. قال: «**فمن تعد لرغبتك ورهبتك**»؟ قال: الذي في السماء، قال: «**أما لو أسلمت لعلمتك كلمتين تنفعانك**»، فلما أسلم قال: يا رسول الله، علمني الكلمتين، قال: «**قل: اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي**»[(٥)] حديث صحيح، وزاد الحاكم فيه في صحيحه: «**اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على أرشد أمري**

---

(١) حديث صحيح : وقد مضى تخريجه.

(٢) حديث صحيح : وقد مضى تخريجه.

(٣) حديث صحيح : وقد مضى تخريجه.

(٤) إسناده ضعيف : أخرجه أحمد (٤/ ١٢٥)، والنسائي (٣/ ٥٤)، والترمذي (٣٤٠٧) من طريق الجريري عن أبي العلاء بن الشخير عن شداد بن أوس مرفوعاً. هذا في رواية النسائي. والجريري مختلط. وقد أدخل بين العلاء وشداد رجلاً من بني حنظلة في رواية أحمد والترمذي. وهذا الرجل مبهم.

(٥) إسناده ضعيف : وأخرجه الترمذي (٥٤٨٣). وفي إسناده شبيب بن شيبة وهو ضعيف وفي سنده انقطاع أيضاً.

اللهم اغفر لى ما أسررت وما أعلنت. وما أخطأت وما تعمدت وما علمت وما جهلت»[١] وإسناده على شرط الصحيحين.

وفي صحيح الحاكم عن عائشة قالت: دخل عليَّ أبو بكر ﷺ فقال: هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علمنيه؟ قلت: ما هو؟ قال: كان عيسى بن مريم ﷺ يعلمه أصحابه، قال: لو كان على أحدكم جبل ذهب ديناً فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه: **«اللهم فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمنى فارحمنى رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك»**[٢].

وفي صحيحه أيضاً عن أم سلمة عن النبى ﷺ: هذا ما سأل محمد ربه: **«اللهم إنى أسألك خير المسألة وخير الدعاء وخير النجاح وخير العمل وخير الثواب وخير الحياة وخير الممات وثبتنى وثقل موازينى وحقق إيمانى وارفع درجتى وتقبل الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين، اللهم إنى أسألك خير ما آتى، وخير ما أفعل، وخير ما بطن وخير ما ظهر، اللهم إنى أسألك أن ترفع ذكرى وتضع وزرى وتصلح أمرى وتطهر قلبى وتحصن فرجى وتنور لى قلبى وتغفر لى ذنبى، وأسألك أن تبارك لى في نفسى وفي سمعى وفي بصرى وفي روحى وفي خَلْقى وفي خُلُقى وفي أهلى وفي محياى وفي مماتى، وفي عملى، وتقبل حسناتى وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين»**[٣].

وفي صحيحه أيضاً من حديث معاذ قال: أبطأ عنا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت أن تدركنا الشمس، ثم خرج فصلى بنا فخفف، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: **«على مكانكم أخبركم ما بطأنى عنكم اليوم، إنى صليت في ليلتى هذه ما شاء الله، ثم ملكتنى**

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥١٠).
وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وكذا المصنف رحمه الله تعالى.

(٢) إسناده ضعيف جداً: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥١٥) وفي إسناده الحكم بن عبد الله الأيلي: قال أحمد: «أحاديثه كلها موضوعة». وقال ابن معين: «ليس بثقة».
وقال السعدي وأبو حاتم: «كذاب». وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٤٥): «الحكم وصدقة ضعيفان». وقال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١/ ٥٥٩): كذاب.

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٠). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح. قلت: وليس كما قالا: وذلك لأن في إسناده عاصم بن أبي عبيد مجهول. ذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

عينى فنمت، فرأيت ربى تبارك وتعالى فألهمنى أن قلت: اللهم إنى أسألك الطيبات، وفعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تتوب علي وتغفر لى وترحمنى، وإذا أردت في خلقك فتنة فنجنى إليك منها غير مفتون، اللهم وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغنى إلى حبك»، ثم أقبل رسول الله ﷺ قال: **«تعلموهن وادرسوهن فإنه حق»**(١) ورواه الترمذى والطبرانى وابن خزيمة وغيرهم بألفاظ أخر.

وفي صحيح الحاكم أيضاً عن ابن عباس قال: كان النبى ﷺ يدعو: **«اللهم قنعني بما رزقتنى، وبارك لى فيه واخلف على كل غائبة لى بخير»**(٢).

وفيه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وارزقنى علماً ينفعنى»**(٣).

وفيه أيضاً عن عائشة أن رسول الله ﷺ أمرها أن تدعو بهذا الدعاء: **«اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. وأعوذ بك من الشر عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد، وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشداً»**(٤).

وفيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أوصى سلمان الخير فقال له: **«إنى أريد أن أمنحك كلمات تسألهن الرحمن وترغب إليه فيهن وتدعو بهن في الليل والنهار: قل اللهم إنى**

---

(١) حديث صححه الإمام البخاري وغيره : أخرجه الحاكم (١/ ٥٢)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٦٨١)، والترمذي (٩/ ١٠٦). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ثم نقل تصحيح الإمام البخاري له.

(٢) إسناده ضعيف : أخرجه الحاكم (١/ ٥١٠)، وفي إسناده يحيى بن عمارة وهو مجهول.

(٣) إسناده حسن : أخرجه الحاكم (١/ ٥١٠)، من حديث أنس مرفوعاً.
وفي إسناده أسامة بن زيد والذي يظهر له أنه حسن الحديث.
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الإمام الذهبي رحمه الله تعالى.

(٤) إسناده صحيح : أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١٣٤)، وابن ماجه (٣٨٤٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣/ ١١٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢١)، وابن حبان (٢٤١٣) من طريق جبر بن حبيب عن أم كلثوم بنت أبي بكر عن عائشة أن الرسول ﷺ علمها هذا الدعاء: فذكره.
وهذا إسناد صحيح، رجاله رجال مسلم خلا جبر بن حبيب وهو ثقة. وانظر تعليقي على هذا الحديث في تعليقي على «٢٠٠ سؤال وجواب» لحافظ أحمد آل حكمي رحمه الله تعالى.